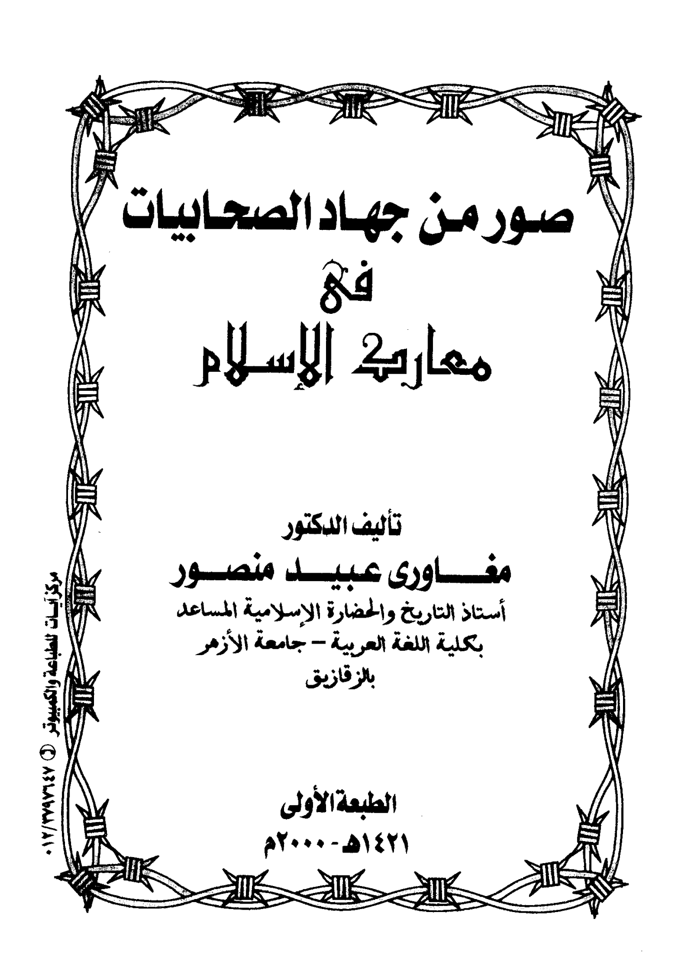


صور من جهاد الصحابيات في معارك الإسلام

تأليف الدكتور

مغـــاورى عبيـــد منصـــور

أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية المساعد

بكلية اللغة العربية – جامعة الأزهر

بالزقازيق

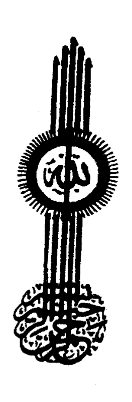
الطبعة الأولى

١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

مركز آيات للطباعة والكمبيوتر ☏ ٠١٢/٣٧٩٦١٤٧

رقم الايداع بدار الكتب والوثائق القومية
٢٠٠٠/٩٢٧٢

مـركـز آيـات للطباعة والكمبيوتر
مساكن لكوظ - الزراعة - الزقازيق
☎ ١٢/٣٧٩٧٦٤٧.



سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ
حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ
أَنَّهُ الْحَقُّ
أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين والمرسلين، سيدنا محمد وعلى اله وصحبه أجمعين ...

وبعــــد ،

فإن هذا الموضوع (صور من جهاد الصحابيات فى معارك الإسلام) لم يكن عندى - موضوعاً مكتمل الحلقات بحيث يمكن صياغته تاريخياً فى دراسة مستقلة، إنما كنت ككل دارس لتاريخ الإسلام، أعلم أن هناك مواقف وبطولات سجلها التاريخ للمرأة المسلمة فى بعض الغزوات والوقائع، لكنى ما كنت أحسبها تكتمل بحثاً أو توفى دراسة مستقلة.

إلى أن قمت بدراسة متخصصة عن : الملامح الحضارية فى الفتوحات الإسلامية، فظهرت أمامى كثير من المواقف التى شاركت فيها المرأة المسلمة، سواء فى غزوات النبى ﷺ أو فى معارك الفتح من بعد فى عصر الراشدين.

ورأيتها تستأهل أن يفرد لها بحث خاص إذا ما اجتمع بعضها إلى بعض. ومن ثم كان شغفى بإخراج هذا البحث، على قلة مادته، وندرة ورودها فى المصادر التاريخيه، وإيجازها الشديد. حيث لم يهتم

بهذه المادة من المؤرخين، وكتاب التراجم والسير سوى نفر قليل، كالواقدى، وابن سعد فى الطبعات، أما أكثر المؤرخين القدامى فلم يوردوا إلا نتفاً يسيرة مبعثرة، لا تغرى الباحث، ولا تشبع فهمه، ولا تفى بموضوع.

كما زادنى رغبة إلى هذه الدراسة ما نراه يوجه إلى المرأة فى عالم الإسلام من قبل المستشرقين وأهل الغرب المعادى، ومحاولاتهم الدؤوبة فى إظهار المرأة المسلمة على أنها مهضومة الحق منتقصة، بالقياس إلى عالم الرجل. وهى كها دعاوى باطلة لا أرى طائلاً من ورائها إلا محاولتهم اختراق دنيا المرأة المسلمة، وكشف ما استتر وراء حجابها الصين، الذى يكسبها – والأمة الإسلامية معها – وقاية وصيانة وعفة.

أقصد أنه يمكن أن نقول لهم[1]: إن المرأة فى عالم الإسلام ليست كما مهملاً فى مجتمعها، ولا منقوصة الحق، أو مهمشة الدور،

---

(١) لم تعد تخفى على أحد تلك الدعاوى االغربية تجاه المرأة المسلمة، والافتراءات على ماضيها وحاضرها، وما هى إلا محاولات مستميتة لاختراق حاجز المجتمع المسلم وتقويضه، من خلال إثارة نوازع الفتنة فى نفوس النساء المسلمات، وفى نفوس جانب كبير من مجتمع الرجال المسلمين غير الواعين، أو المبهورين ببهرجة الحياة فى المجتمعات الغربية. فهى من جانب الغربيين بقصد تغريب المجتمع المسلم، وتعريته من جوانب

بل هى – فوق كل ما أكسبها الإسلام – تخرج إلى ميدان الوغى مناضلة مجاهدة إذا ما اقتضت الضرورة ذلك، فأى حرية للمرأة تطلبون ؟ ومن أ شئ تطالبون بحريتها ؟ وأى مساواة لها بالرجل تدعون ؟

لقد أضفى الإسلام على البشرية كلها نهجاً جديداً وأسلوباً فريداً متميزاً فى بناء مجتمع إنسانى متحضر، نظمت فيه حقوق الإنسان تنظيماً دقيقاً، فقد منح المرأة كافة الحقوق التى منحت للرجل، ولم ينقص من قدرها كونها امرأة، بل لقد منحها حقوقاً زادت أحياناً على ما منح للرجل، فنزلت فيها سورة كاملة فى القرآن الكريم فى حين لم يكن ذلك للرجل. كما أطلق الإسلام المرأة من عقالها، ورفع عنها إصرها، وأتاح لها دوراً فريداً لم تقم به من قبل فى كل المجتمعات

= البناء والقوة فيه، كيما يصبح مجتمعاً هشاً غير متماسك الأركان، على غرارماهم عليه. كما هى من جانب بعض المسلمين والمسلمات رؤية انبهارية بمجتمعات الغرب العارية من كل قيم، المتحللة من كل الأخلاقيات. ولا أظن أنى فى هذا البحث اليسير المتواضع سوف أقدم كل ما يلزم فى هذا الجانب. إذ الأمر بحاجة إلى جهود كثيرة متضافرة، ووعى شديد بما يراد بنا، لكنى أتوسم أن يكون عملى هذا نقطة فى بحر عمل إسلامى متكامل، سبقنى إليه الكثيرون، وسيلحق آخرون بإذن الله ممن شرح الله صدروهم للحق.

التى سبقت الإسلام، حيث وضعها على قدم المساواة مع الرجل، وخصها باستقلال شخصيتها، وكرمها أما، ورحماً، وعرضاً، ورمزاً للمودة والرحمة. وكل هذا مما يدحض تلك الدعاوى والافتراءات الغريبة الزائفة...

تمهيد:

الجهاد فى الأصل مفروض على جماعة المسلمين، حين تجد أسبابه وتتأكد دواعيه، دفاعاً عن حدود الأمة وأرضها وأمنها، أورداً لعدوان يقع عليها من أعدائها. حيث قال ربنا جل شأنه: **﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾**(١).

والذين يناط بهم عبء الجهاد هم الرجال القادرون العقلاء، وقد أعد الله سبحانه للمجاهدين فى سبيله درجات عالية فى جنات النعيم، قال تعالى: **﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ .... الخ الآية ﴾**(٢).

---

(١) من الآية: ١٩٠ من سورة البقرة.

(٢) من الآيةك ١١١ من سورة التوبة.

وقال: ﴿ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[1].

وفى أحاديث نبوية عديدة يحث المصطفى ﷺ على الجهاد ويرغب فيه، ويبين ما للمجاهدين من الفضل والمثوبة عند الله تعالى، فيقول ﷺ : (مثل المجاهد فى سبيل الله – والله أعلم بمن يجاهد فى سبيله – كمثل الصائم القائم، وتوكل الله للمجاهد فى سبيله إذا توفاه أن يدخله الجنة، أو يرجعه سالماً مع أجر وغنيمة)[2].

ولما كانت للمرأة مهمتها المنوطة بها، وهى رعاية الناشئة وصيانة البيت، فقد أعفاها الإسلام من مهمة الجهاد وجوباً، مراعاة لأنوثتها الرقيقة، وحجباً لها من أن تحتك بالرجال الأجانب عنها فى صولات القتال وجولاته. ومع ذلك فقد تاقت المرأة المسلمة منذ عصر الإسلام الأول إلى أن تشارك الرجل هذا الدور، بذلاً لجهدها الذى يمكن أن تقوم به، وطلباً للمثوبة والأجر. فكان من هذا أن أستاذنت

---

(١) من الآية: ٧٤ من سورة النساء.

(٢) الإمام البخارى: (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن بردزبه الجعفى) ت ٢٥٦ هـ : صحيح البخارى جـ٥ ص ٣٨ ،كتاب الجهاد والسير، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة ١٣٩٠هـ-١٩٧١م).

عائشة أم المؤمنين رسول الله ﷺ في الجهاد، فقال لها: (جهادكن الحج)[1] . وسأله نساؤه في مرة أخرى عن الجهاد، فقال لهن: (نعم الجهاد الحج)[2] . وقد أورد ابن حجر العسقلاني تعليلاً لطيفاً لحديث عائشة – رضي الله عنها – فقال: .... ولكن ليس في قوله: (جهادكن الحج) أنه ليس لهن أن يتطوعن بالجهاد، وإنما لم يكن عليهن واجباً لما فيه من مغايرة المطلوب منهن من الستر ومجانبة الرجال، فلذلك كان الحج أفضل لهن من الجهاد[3].

ولم تكن نساء النبي ﷺ وحدهن اللواتي تاقت أنفسهن إلى الجهاد وسألن فيه رسول الله ﷺ ، بل تمثلت تلك الرغبة أيضاً عند كثيرات من نساء المؤمنين، كانت منهم أم حرام ابنة ملحان، الأنصارية الخزرجية، زوج عبادة بن الصامت، وخالة أنس بن مالك، والتي يروي عبد الله بن عبد الرحمن الأنصاري عنها قائلاً: سمعت أنساً رضي الله عنه يقول: دخل رسول الله ﷺ على ابنة ملحان، فاتكأ عندها، ثم ضحك، فقالت: مم تضحك يارسول الله؟ فقال: «ناس من أمتي يركبون البحر الأخضر[4] في سبيل الله، مثلهم مثل الملوك على

(١، ٢) صحيح البخاري: ٥/٨٢.

(٣) فتح الباري: ٦/٨٩.

(٤) لعل وصفه ﷺ للبحر بـ (الأخضر) أت من لون صفحة الماء بالبحر –

الأسرة، فقالت: يارسول الله، ادع الله أن يجعلنى منهم، ثم عاد فضحك، فقالت له مثل ذلك، فقال لها مثل ذلك، فقالت: ادع الله أن يجعلنى منهم، قال: «أنت من الأولين، ولست من الآخرين... إلخ الحديث[1] .

وقد استجاب الله تعالى لدعوة النبى ﷺ لها، فتزوجت عبادة بن الصامت وركبت البحر مع جند معاوية، فى غزوه لجزيرة قبرص، فى خلافة عثمان رضي الله عنه وكانت بصحبتها من النساء: فاختة بنت قرظة بن عمرو بن نوفل[2] .

وأيضاً لم تكن ابنة ملحان هذه هى آخر امرأة تطمح إلى المشاركة مع المسلمين فى الجهاد فى سبيل الله؛ بل رأينافى ساحات القتال أمثلة لكثير من النسوة اللاتى اقتضتهن الظروف أو دفع بهن

- حيث يظن أن المسلمين أنئذ لم يكونوا يعرفون مسميات للبحار، كالأحمر والمتوسط مثلاً كما لم يكونوا قد ألفوا ركوب البحر، بسبب ظروف البيئة العربية الصحراوية.

(١) ابن حجر العسقلانى (الإمام الحافظ أحمد بن على) ت ٨٥٢هـ: فتح البارى بشرح صحيح البخارى: جـ٦ ص٩٠ «كتاب الجهاد والسير» طبعة أولى، القاهرة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م، ابن سعد: الطبقات: ٨/٤٣٥.

(٢) صحيح البخارى ٥/٨٣، النويرى: نهاية الأرب ١٩/٤١٦.

الواقع إلى مشاركة فعلية وحقيقية، سواء فى عهد رسول الله ﷺ ، أو فى عصر خلفائه الراشدين من بعد، فتحققت لهن - بذلك - رغبتهن، ونلن ما كن يطمحن إليه، بل سجلن بالفعل بطولات رائعة، ومواقف نادرة، سيظل التاريخ يحفل بها ويحتويها بين طياته، كنموذج رفيع ورائع للمرأة المسلمة تتفرد به عن كل النساء فى سائر المجتمعات الأخرى.

جهاد الصحابيات في عهد النبوة

لم يُشرك النبى ﷺ النساء فى غزواته، حفاظاً عليهن، وتجنيباً لهن عن الاختلاط بالأجانب، واعتماداً على أ ن دور المرأة المنوط بها ليس مجاله أرض المعركة ولا ميدان الجهاد. ومن جانب آخر فإنه كان إذا خرج للغزو أقرع بين نسائه، فأيتهن يخرج سهمها يحملها معه[1] .

وعليه فإن خروج المرأة مع زوجها فى الغزو كان جائزاً، لكن ليس بقصد إشراكها فى القتال، وإنما لتقوم له – فى فترة الغزو – بما تقوم له به فى البيت من حقوق الزوجية والمؤانسة والرعاية. ولا يمتنع أن يكون هذا الحق قد تقرر لكل من يريد الخروج بزوجه من المسلمين.

ثم اقتضت الضرورة بعدئذ واستلزم واقع الحال أن تقوم هؤلاء النسوة المرافقات لأزواجهن ببعض الأعمال المعاونة فى الحرب، مثل: غزل الشعر، ورقع الخيام، وحمل الطعام والماء للمقاتلين، ثم يسقين الجرحى، ويقمن بتمريضهن، إلى أن تدرج الأمر بهن إلى عزل جثث الشهداء والقيام بدفنها.

---

(١) صحيح البخارى: ٨٣/٥.

وهذه الأعمال على الرغم من ضآلتها، وكونها لم تصل بالمرأة إلى حمل السلاح وقتال الأعداء، فإنها كانت أعمال ذات شأن، بالغة الأهمية؛ فهى تشبه فى العصور الحديثة عدة أجهزة تكون مصاحبة للجيش للقيام بهذه المهام، مثل: جهاز التموين والإمداد، ومهمته توفير الطعام والشراب للجند، وجهاز الطب الميدانى، الذى يتولى اسعاف وتمريض الجرحى والمصابين، ثم جهاز المهمات، ويختص بتجهيز الملابس والأغطية والخيام. ومن ثم تكون المرأة فى معارك الإسلام قد قامت بالأدوار التى تؤديها كل هذه الأجهزة بالكامل وبشكل طبيعى وتلقائى، وبطريقة اقتضتها ظروف وجودها مع الجند، وإن كانت فى الأصل لم تخرج لهذا السبب!.

كما يبدو أن الرسول ﷺ فى غزواته من بعد قد سمح للنساء المرافقات للجند بالقيام بهذه المهام، وأيضاً يُفهم من حديث أنس بن مالك أن كان الرسول ﷺ يتخير بعض النسوة اللواتى تمرسن على هذه الأعمال فى غزواته، بناءً على رغبة منهن وتفان فى إنجاز هذه الأعمال. يقول أنس رضي الله عنه : كان رسول الله ﷺ يغزو بأم سليم ونسوة من الأنصار معه إذا غزا، فيسقين الماء، ويداوين الجرحى[1] .

(١) الإمام مسلم (أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى) ت ٢٦١هـ: صحيح مسلم: جـ١٢ ص ١٨٨، المطبعة المصرية. بدون.

ويؤكد هذا ما يرويه أبو بكر بن شيبة عن غيره، عن أم عطية الأنصارية أنها قالت: غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات، أخلفهم فى رحالهم، فأصنع لهم الطعام، وأداوى الجرحى، وأقوم على المرضى[1] .

كما يروى الإمام مسلم فى صحيحه، فيقول: حدثنا عبد الله بن مسلمة بن قعنب... عن يزيد بن هرمز، أن نجدة كتب إلى ابن عباس يسأله عن خمس خلال، فقال ابن عباس: لولا أن أكتم علماً ما كتبت إليه. كتب إليه نجدة[2] : أما بعد، فأخبرنى هل كان رسول الله ﷺ يغزو بالنساء، وهل كان يضرب لهن بسهم، وهل كان يقتل الصبيان؟ ومتى ينقضى يتم اليتيم؟ وعن الخمس لمن هو؟ فكتب إليه ابن عباس: كتبت تسألنى هل كان رسول الله ﷺ يغزو بالنساء؟ وقد كان يغزو بهن، فيداوين الجرحى، ويحذين[3] من الغنيمة، وأما بسهم فلم

---

(١) صحيح مسلم: ١٩٤/١٢.

(٢) هو: نجدة بن عامر الحرورى.

(٣) أى يعطين، وهو الرضخ، حيث إن المرأة تستحق الرضخ ولا تستحق السهم، لأن عملها هذا تطوعى واختيارى، كما هى ليست من عداد الجند لانتفاء مهمة الجهاد عنها.

يضرب لهن، وإن رسول الله ﷺ لم يكن يقتل الصبيان فلاتقتل الصبيان.. الخ الحديث(١) .

وإذا كانت المرأة – فى عهد النبى ﷺ – لم تخرج فى السرايا التى بثها قبل غزوة بدر، ولا فى غزوة بدر ذاتها، فإنما كان ذلك آت من أن السرايا كانت عبارة عن حملات سريعة لا تستدعى خروج المرأة مع زوجها. وفى بدر كان أول لقاء مع المشركين، وأول تجربة حقيقية للمجاهدين المسلمين، فلم تخرج المرأة كذلك.

فقد روى أن أم الحارث الأنصارية، وهى: أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث من فضليات نساء عصرها، لما تجهز رسول الله ﷺ لغزوة بدر قالت له: إئذن لى أن أخرج معكم أداوى جرحاكم، وأمرض مرضاكم، لعل الله يهدى إلى الشهادة. فقال لها ﷺ : «إن الله يهديك الشهادة، وقرى فى بيتك فإنك شهيدة» مما يؤكد على أن المرأة المسلمة قد تاقت نفسها للجهاد، وطلبت الشهادة فى سبيل الله منذ قيام دولة الإسلام الأولى، وفى أول معاركه ضد الأعداء، لكن لم يخرجن فى بدر، للسبب الذى ذكرناه من قبل.

---

(١) صحيح مسلم: ١٢/ ١٩٠، ١٩١، أبو يوسف: الرد على سير الأوزاعى: ص ٣٨، أبو عبيد القاسم بن سلام: كتاب الأموال: ١٣٨.

فى غزوة أحد: فى شوال من العام الثالث الهجرى، قامت تلك المعركة بالقرب من المدينة، مما أتاح الفرصة للنساء كى يقمن بدور بارز، وكذلك اقتضت الظروف كل من يستطيع شيئاً أن يقدمه، فى تلك المعركة التى كانت تحدياً لدولة المسلمين الناشئة، وفى عقر دارهم، حيث قد جرح وجه رسول الله ﷺ، وكسرت رباعيته[١] وهُشمت البيضة[٢] على رأسه، وانصرف المشركون، فخرجت النساء إلى الصحابة، وكانت فاطمة فيمن خرج، فلما لقيت رسول الله ﷺ اعتنقته وجعلت تمسح الدم عن وجهه، ورسول الله ﷺ يقول: اشتد غضب الله على قوم أدموا وجه رسوله! [٣] .

وانطلق على كرم الله وجهه يأتى بماء من المهراس، قائلاً لفاطمة: أمسكى هذا السيف غير ذميم، فأتى بماء فى مجنه «ترسه»، فأراد رسول الله ﷺ أن يشرب منه – وكان قد اشتد به الظمأ – فلم يستطع، ووجد ريحاً من الماء كرهها، فقال: هذا ماء آجن (متغير الطعم واللون)، فمضمض منه فاه للدم الذى فى فيه، وغسلت فاطمة

---

(١) السن التى بين الثنية والناب.

(٢) البيضة: الخوذة على الرأس.

(٣) ينظر: الطبرى (محمد بن جرير) ت ٣١٠هـ: تاريخ الرسل والملوك: ٥١٩/٢، دار المعارف بمصر ١٩٧٧م.

الدم عن أبيها... وخرج محمد بن مسلمة يطلب مع النساء ماء، وكن قد جئن أربع عشرة امرأة، منهن فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، يحملن الطعام والشراب على ظهورهن، ويسقين الجرحى ويداوينهم[1] .

ويتمم هذا المعنى قول كعب بن مالك رضي الله عنه : رأيت أم سليم بنت ملحان وعائشة على ظهورهماالقرب يحملانها يوم أحد[2] ، وإنهما لمشمرتان أرى خدم سوقهن[3] . وقد أورد البخارى فى ذلك من حديث أنس رضي الله عنه أنهما كانت تنقران القرب[4] قال: وقال غيره: تنقلان القرب على متونهما، ثم تفرغانها فى أفواه القوم، ثم ترجعان فتملآنها، ثم تجيئان فتفرغانها فى أفواه القوم[5] .

---

(١) الواقدى (أبى عبد الله بن عمر) ت ٢٠٧هـ: مغازى الواقدى: ١/٢٤٩، عبد البصير خليفة حسن (الدكتور): أحد وثباته ﷺ، مقال منشور فى مجلة الأزهر ص ١٠٠٥، رمضان ١٤١١هـ - مارس أبريل ١٩٩١م.

(٢) مغازى الواقدى: ١/٢٤٩، أحمد جمال عبد العال (الشيخ): نساء خالدات فى القرآن الكريم ص ٦٣.

(٣) صحيح البخارى: ٦/٨٩، فتح البارى: ٦/٩١. والخدم: الخلخال الذى كانت تلبسه النساء فى أعلى القدمين.

(٤) أى تثبان بها وثباً.

(٥) صحيح البخارى: ٥/٨٤.

وفى يوم أحد أيضا كانت حمنة بنت جحش تسقى العطشى وتداوى الجرحى، ومعها أم أيمن تسقى الجرحى، فلما لم يجد محمد بن مسلمة عندهن ماء يسقى به رسول الله ﷺ ، ذهب إلى قناة وأخذ سقاء حتى استسقى من حسى (صغيرة قريبة القعر) – قناة عند قصور التيميين اليوم[١] –، فأتى بماء عذب، فشرب رسول الله ﷺ ، ودعا لمحمد بن مسلمة بخير، وجعل الدم لا ينقطع من جراحات رسول الله ﷺ وهو يقول: لن ينالوا منا مثلها حتى تستلموا الركن. فلما رأت فاطمة الدم لا ينقطع أخذت شيئا من حصير فأحرقته حتى صار رماداً، فأخذت ذلك الرماد وكمدته حتى لصق بالجرح، فاستمسك الدم[٢] . ويقال إنها داوته بصوفة محترقة لا بحصير.

وهكذا قامت النساء بدور مهم فى إغاثة الظمآى من المقاتلين، ومداواتهم بعدما مال المشركون على المسلمين وكسروهم، فكن بذلك يمثلن مؤخرة الإمداد، وكتيبة الإسعاف، بل قمن فوق ذلك بمهمة الدفاع عن القائد الأعلى، وهو النبى ﷺ ، الذى حرصت قريش على الخلاص منه فى ذلك الوقت الذى تضعضع فيه المسلمون وانكسروا.

---

(١) مغازى الواقدى : ١/٢٥٠.

(٢) د. عبد البصير خليفة حسن: أحد وثباته ﷺ . ص ١٠٠٥.

يروى الواقدى فى ذلك قائلاً: حدثنا عبد الجبار بن عمارة، عن عمارة بن غزية قال: قالت أم عمارة[1] : قد رأيتنى وانكشف الناس عن رسول الله ﷺ ، فمابقى إلا نفير مايتمون عشرة، وأنا وابناى وزوجى بين يديه نذب عنه، والناس يمرون به منهزمين، ورآنى (أى رسول الله) لا ترس معى، فرأى رجلاً موليا معه ترس، فقال: ياصاحب الترس، ألق ترسك إلى من يقاتل! فألقى ترسه، فأخذته فجعلت أترس به عن رسول الله ﷺ ، وإنما فعل بنا الأفاعيل أصحاب الخيل (أى فرسان قريش)، لو كانوا رجالة مثلنا أصبناهم إن شاء الله! فأقبل رجل على فرس فضربنى، وترست له فلم يصنع سيفه شيئاً وولى، وضربت عرقوب فرسه فوقع على ظهره، فجعل النبى ﷺ يصيح: يا ابن أم عمارة[2] ، أمك، أمك! قالت: فعاونني عليه حتى أوردته شعوب[3] .

(١) هى: نسيبة بنت كعب الأنصارية، كانت ممن بايع من النساء فى العقبة، شهدت أحداً والحديبية وخيبر وحنيناً وعمرة القضاء ويوم اليمامة.
ينظر : الواقدى فى مغازيه، عبد الحميد بن عبد الرحمن السحيبانى: صور من سير الصحابيات: ص ٧٧، دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع، السعودية، الرياض ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م ،طبعة خامسة.

(٢) كان لأم عمارة ولدين: عبد الله وحبيب، من زوجها زيد بن عاصم بن عمرو، ينظر: ابن حجر (شهاب الدين أبى الفضل أحمد بن على العسقلانى) ت ٨٥٢هـ : تهذيب التهذيب: ١٢/ ٤٧٤، طبعة أولى، دار صادر بيروت ١٣٢٧هـ.

(٣) مغازى الواقدى: ١/ ٢٧٠ ، حامد محمد على(الشيخ): الجهاد فى ضوء الكتاب والسنة ص ٥١ . مطابع الأهرام التجارية القاهرة ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

هكذا قامت هذه المرأة المجاهدة - أم عمارة - بدور بطولى بارز فى أحرج اللحظات التى مرت بالمسلمين يوم أحد؛ حيث غلبهم كفار قريش وأشيع بين الناس - مسلمين ومشركين - مقتل رسول الله ﷺ ، ممالأ نفوس المشركين فرحاً وسروراً، ونفوس المسلمين حزنا وفتوراً، وفت فى عضد هؤلاء وتفرقوا مخذولين لهول ماوقع عليهم من هاتين المصيبتين الجسيمتين: الهزيمة وشيوع مقتل نبيهم ﷺ .

وهذا ما يؤكد على أن دور النساء فى تلك الساعة ربمايفوق موقف الرجال المسلمين قبل الهزيمة، وحين كانت لهم الغلبة أول النهار؛ فالنساء الآن قد قمن بعدة أدوار مهمة فى وقت واحد، سقين الماء، وداوين الجرحى ومنهم النبى ﷺ نفسه، وقمن بعملية الحماية والدفاع عن النبى فى اللحظة التى انكشف عنه معظم من نجا، حيث لم يكن لأكثرهم علم بحياته ولاأين هو! إضافة إلى أنهن بكل هذا قد لفتن انتباه جند المسلمين إلى أن رسول الله مايزال حيا.

ثم نشهد لأم عمارة - فوق ما سبق - موقفاً آخر فى نفس اليوم، يوم أحد، نتبين منه أن تلك المجاهدة قد أعدت نفسها، وجهزت ما يلزم من وسائل الإسعافات من قبل أن تخرج إلى أرض المعركة. يروى الواقدى فيقول: «... وحدثنى ابن أبى سبرة عن عمرو بن

يحيى، عن أبيه، عن عبد الله بن زيد[1] قال: جرحت يومئذ جرحاً فى عضدى اليسرى، ضربنى رجل كأنه الرقل[2] ولم يعرج على، ومضى عنى، وجعل الدم لا يرقأ - أى لا يجف - فقال رسول الله ﷺ : أعصب جرحك، فأقبلت أمى إلىّ ومعها عصائب فى حقويها، قد أعدتها للجراح، فربطت جرحى والنبى ﷺ واقف ينظر، ثم قالت: انهض يابنى فضارب القوم، فجعل النبى ﷺ يقول: ومن يطيق ما تطيقين يا أم عمارة؟.

ثم قالت أم عمارة: وأقبل الرجل الذى ضرب ابنى ثانية، فقال رسول الله ﷺ : هذا ضارب ابنك! فاعترضت له، فضربت ساقه فبرك - أى وقع على الأرض - فرأيت رسول الله ﷺ تبسم حتى بدت نواجذه!، ثم قال: استقدت يا أم عمارة ! ثم أقبلنا إلى الرجل نعلوه بالسلاح حتى أتينا على نفسه، فقال النبى ﷺ : الحمد لله الذى ظفرك وأقر عينك من عدوك، وأراك ثأرك بعينيك[3] .

---

(١) أحد ولدى أم عمارة.

(٢) الرقل: النخلة العالية.

(٣) مغازى الواقدى: ١/٢٧١، عبد الله عفيفى: المرأة العربية فى جاهليتها وإسلامها: ١/١١٣، ١١٤، طبعة ثانية بيروت ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، الشيخ حامد محمد على: الجهاد فى ضوء الكتاب والسنة ص ٥٢.

كل هذا يكشف لناعن مدى الخسارة التى لحقت بالمسلمين يوم أحد، فقد انكسروا وانكشفوا إلى الدرجة التى احتيج فيها إلى كل جهد مدخر، من رجل كان أو من امرأة، وهذا ما يؤكده أنس رضي الله عنه فيما يرويه قائلا: «لما كان يوم أحد انهزم ناس من الناس عن رسول الله ﷺ، وأبو طلحة بين يدى النبى مجوب عيه بجحفة، وكان أبو طلحة رجل شديد النزع، وكسر يومئذ قوسين أو ثلاثا، فكان الرجل يمر معه الجعبة من النبل فيقول: انثرها لأبى طلحة، ويشرف نبى الله ﷺ ينظر إلى القوم، فيقول أبو طلحة: يا نبى الله، بأبى أنت وأمى، لا تشرف حتى لا يصيبك سهم من سهام القوم، نحرى دون نحرك.. إلخ الحديث[1].

بكل هذا صارت نسيبة بنت كعب «أم عمارة» حديث أحد، حيث اشتهرت كبطلة مجاهدة من بين كثيرات ممن شاركنها هذا الدور، حتى إنهن قد سجلن لها بطولاتها العديدة، كما حظيت باهتمام رسول الله ﷺ بها، وتقديره لمجهوداتها، فها هو ضمرة بن سعيد يحدث عن جدته التى كانت قد شهدت أحداً تسقى الماء، وتصنع ما يصنع النساء، قالت: سمعت النبى ﷺ يقول: لمقام نسيبة بنت كعب اليوم خير من مقام فلان وفلان! وكان يراها تقاتل يومئذ أشد القتال، وإنها لحاجزة ثوبها على وسطها - ولم يكن أمرالنساء بالحجاب قد

(١) صحيح مسلم: ١٨٩/١٢، وينظر: تاريخ الطبرى: ٥١٧/٢، ٥١٨.

نزل – حتى جرحت ثلاثة عشر جرحاً، فلما حضرتها الوفاة، كنت فيمن غسلها، فعددت جراحها جرحا جرحا، فوجدتها ثلاثة عشر جرحاً، ولكأنى انظر إلى ابن قميئة وهو يضربها عى عاتقها – وكان أعظم جراحها، لقد داوته سنة – ثم نادى منادى النبى ﷺ إلى حمراء الأسد ! [1] فشدت عليها ثيابها، فما استطاعت من نزف الدم، ولقد مكثنا ليلنانكمد الجراح حتى أصبحنا، فلما رجع رسول الله ﷺ من الحمراء، ما وصل إلى بيته حتى أرسل إليها عبد الله بن كعب المازنى يسأل عنها، فرجع إليه يخبره بسلامتها، فسر النبى ﷺ بذلك[2] .

وإذا كان كل مامر منقول عن شجاعة أم عمارة ومواقفها يوم أحد فلندعها الآن تحدث هى عن نفسها، فيما ترويه شاهدة عيان هى «أم سعد» بنت سعد بن ربيع، حيث تقول: دخلت على أم عمارة فقلت لها: ياخالة، حدثينى خبرك، فقالت: خرجت أول النهار إلى أحد، وأنا أنظر ما يصنع الناس، ومعى سقاء فيه ماء، فانتهيت إلى رسول الله

---

(١) فى اليوم التالى ليوم أحد خرج النبى ﷺ إلى حمراء الأسد، بمن كان معه فى أحد، ليثبت لكفار قريش أن المسلمين ما يزالون قادرين على التحدى والصمود. وعاد دون أن يلقاه أحد.

(٢) مغازى الواقدى: ١/ ٢٧٠، أحمد جمال عبد العال: نساء خالدات فى القرآن الكريم ص ٦٤.

ﷺ وهو فى أصحابه، والدولة والريح للمسلمين ،يعنى فى الجولة الأولى التى كانت للمسلمين، فلما انهزم المسلمون، انحزت إلى رسول الله ﷺ ، فجعلت أباشر القتال، وأذب عن رسول الله ﷺ بالسيف، وأرمى بالقوس، حتى خلصت إلى الجراح.

تقول أم سعد: فرأيت على عاتقها جرحاً له غور أجوف، فقلت يا أم عمارة من أصابك بهذا؟ قالت: أقبل ابن قميئة[(١)] وقد ولى الناس عن رسول الله ﷺ ، يصيح: دلونى على محمد فلا نجوت إن نجا![(٢)] فاعترض له مصعب بن عمير وأناس معه، فكنت فيهم، فضربنى هذه الضربة، ولقد ضربته على ذلك ضربات، ولكن عدو الله كان عليه درعان...[(٣)] .

وإذا أردنا أن نتعرف على الدافع الحقيقى فى نفس أم عمارة الذى كان من وراء هذه البطولات، فلن نجده إلا طلب رضى الله

(١) هو عمرو بن قميئة الليثى الذى قتل مصعب بن عمير ظنا منه أنه رسول الله ﷺ.

(٢) المشهور أن أمية بن خلف هو الذى كان ينادى بهذا ، فلعل ابن قميئة نادى به أيضا.

(٣) مغازى الواقدى: ١/٢٦٩، ابن سعد: الطبقات ٨/٤١٥، عبد العزيز كامل (الدكتور): دروس من غزوة أحد ص ٧٨، دار المعارف ،طبعة رابعة، ١٩٨٣م.

ورسوله، ونصرة الدين الذى خالطت حلاوته قلبها، وهذاماجعلها لا تبالى بما تعانيه، ولا تلقى بالا لما تقاسيه فى هذا السبيل. وكل هذا أثبته واقع الحال عند كل من تحدثوا عن بطولاتها- ولعلنا نختم الحديث عن أعمالها فى يوم أحد بما يرويه ابنها عبد الله بن زيد من أن رسول الله ﷺ قد أشاد بدور أسرتها جميعاً، فقال: « ..... بارك الله عليكم من أهل بيت! مقام أمك خير من مقام فلان وفلان، ومقام أبيك[1] خير من مقام فلان وفلان، ومقامك خير من مقام فلان وفلان، رحمكم الله أهل البيت. فقالت أم عمارة: يارسول الله، ادع الله أن نرافقك فى الجنة. فقال: اللهم اجعلهم دفقائى فى الجنة، قالت: مأبالى ماأصابنى من الدنيا»[2] .

هذا وقد شهدت أحداً من نساء المسلمين غير ما مر كثيرات، كان منهن: برزة بنت مسعود، وعمرة بنت علقمة الحارثية، وأم أيمن مولاة رسول الله ﷺ[3] ، وصفية بنت عبد المطلب التى شهدت

---

(١) أبوه هو: زيد بن عاصم وكان ممن شهدوا أحداً، غير أن أمه يوم أحد كانت لغزية ابن عمرو، فليس بواضح من المقصود منهما، وإن كان الواقدى يصرف الكلام إلى زوج أمه.

(٢) مغازى الواقدى ١/٢٦٩، عبد الحميد السحيبانى: صور من سير الصحابيات ص ٧٨.

(٣) عمررضا كحالة: أعلام النساء، ٣/٣٥٧.

أحداً، فلما دارت على المسلمين الدائرة، قامت بشجاعة وفى يدها رمح تضرب به فى وجوه المسلمين الفارين من المعركة، وهى تقول: انهزمتم عن رسول الله؟!. فلما قتل حمزة أخاها ضربت صفية نموذجاً رائعاً فى الصبر والاحتساب والثبات؛ حيث لما رآها رسول الله ﷺ مقبلة قال لابنها الزبير ابن العوام: إلقها فارجعها، لا ترى ما بشقيقها حمزة!. فلقيها الزبير، فقال: يا أمه، إن رسول الله يأمرك أن ترجعى، فقالت: ولم؟ وقد بلغنى أنه مثل بأخى! وذلك فى الله عز وجل قليل! فما أرضانا بما كان من ذلك! لأحتسبن ولأصبرن إن شاء الله. فلماجاء الزبير رسول الله ﷺ وأخبره ذلك، قال: خل سبيلها، فأتت حمزة، فنظرت إليه، وصلت عليه، واسترجعت واستغفرت له[1].

وما دمنا قد وقفنا على ما قدمته المرأة المسلمة فى يوم أحد، من تضحيات وأعمال جليلة ، وخدمات عظيمة، فى شتى الميادين التى أتيحت لها الفرصة فيها، أو اقتضتها الضرورة، وهى فى كل هذا لا تبتغى إلا أن تكون كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفرواالسفلى، غير

---

(١) ابن سعد: الطبقات: ٤١/٨، عمر رضا كحالة: أعلام النساء ٣٤١/٢، ٣٤٢، عبد الصبور شاهين (الدكتور): صحابيات حول الرسول ص ٩٠ دار الاعتصام القاهرة ١٩٩٣، د. عبد العزيز كامل: دروس من غزوة أحد ص ٩١.

مبالية بما يصيبها، أو يصيب الزوج والولد والأخ. أقول: ما دمنا قد رأيناهذاووقفنا عليه، فإنه ليجدر بنا أن نشير فى عجالة إلى الدور الذى قامت به نساء المشركين فى المعركة، لنقف منه على ملحظين:
الأول : استبيان الفارق بين الدافع لدى الجانبين، المسلمة والمشركة،
والثانى: الوقوف على حال بعض نساء المشركين فى أحد، لتتم لنا مقارنته بما سيكون فيمابعد حينما تتحول إلى الإسلام، وينعكس دورها البطولى من الشرك إلى مناصرة الإسلام وقضيته.

والنساء فى أحد، مسلمات ومشركات، وإن كن جميعاً بنات جيل واحد، وبيئة واحدة، وبينهن من وشائج الدم والقربى ما بينهن ، إلا أن الإسلام قد هذب سلوك المرأة المسلمة، وقوم شكل حياتها، بما يتوائم مع منهجه وسمو مبادئه. أما المرأة المشركة، فما تزال على فطرتها الوثنية الفظة، متمشية مع طباع مجتمعها التى غذتها بها حياة الشرك واللهو والمجون.

فقد سئلت أم عمارة: هل كن نساء قريش يومئذ «أى يوم أحد» يقاتلن مع أزواجهن؟ فقالت: أعوذ بالله، ما رأيت امرأة منهن رمت بسهم، ولا بحجر!، ولكن رأيت معهن الدفاف والأكبار، يضربن ويذكرن القوم قتلى بدر[1] .

(١) مغازى الواقدى ١/٢٧٢.

وحين اشتدت المعركة، والتحم الفريقان، قامت هند بنت عتبة – زوج أبى سفيان بن حرب – فى النسوة اللواتى معها – وكن أربع عشرة امرأة –، وأخذن الدفوف، يضربن خلف الرجال ويحرضن، فقالت هند فيما تقول :

إن تقبلوا نعانق ونفرش النمارق
أو تدبروا نفارق فراق غير وامق

وتقول:

إيها بني عبد الدار إيها حماة الأدبار
ضربا بكل بتار[1]

وكان مع نساء المشركين مكاحل ومراود، فكلما ولى رجل أو تكعكع – أى أحجم عن القتال وتأخر للوراء – ناولته إحداهن مروداً ومكحلة، ويقلن له: إنما أنت امرأة. ثم تقول أم عمارة: ولقد رأيتهن ولين منهزمات مشمرات – ولها عنهن الرجال أصحاب الخيل، ونجوا على متون الخيل – (يعنى فى الجولة الأولى التى غلب فيهاالمسلمون) يتبعن الرجال على الأقدام، فجعلن يسقطن فى الطريق. ولقد رأيت هند بنت عتبة، وكانت امرأة ثقيلة ولها خلق، قاعدة خاشية من الخيل

(١) تاريخ الطبرى، ٥١٢/٢، عمر رضا كحالة: أعلام النساء فى عالمى العرب والإسلام، ٢٤٤/٥ (طبعة ثالثة) بيروت ١٣٩٧ هـ – ١٩٧٧م.

ما بها مشى، ومعها امرأة أخرى. حتى كر القوم علينا، فأصابوا منا ما صابوا، فعند الله نحتسب ما أصابنا يومئذ من قبل الرماة ومعصيتهم لرسول الله ﷺ [1] .

وبعد أن انتهت المعركة لصالح قريش، وقفت هند والنسوة اللاتى معها يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله ﷺ ، يجدعن الآذان والأنوف، حتى اتخذت هند من آذان الرجال وأنفهم خدماً وقلائد، وأعطت خدمها وقلائدها وحشيا غلام جبير بن مطعم وبقرت بطن حمزة، فأخرجت كبده فلاكتها، فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها، فبلغ ذلك النبى ﷺ فقال: لو أساغتها لم تمسها النار، إن الله حرم على النار أن تذوق من لحم حمزة شيئا أبداً[2] .

ثم علت هند على صخرة مشرفة فصرخت بأعلى صوتها:

نحن جزيناكم بيوم بدر	والحرب بعد الحرب ذات سعر
ما كان عن عتبة لي من صبر	ولا أخي وعمي وبسكري
شفيت نفسي وقضيت نذري	شفيت وحشي غليل صدري
حتى ترم أعظمي في قبري	فشكر وحشي على عمري

(١) مغازى الواقدى، ١/٢٧٢ .

(٢) عمررضا كحالة: أعلام النساء، ٥/٢٤٤، محمود مهدى الاستانبولى: نساء حول الرسول ص ٢٤١، مكتبة السوادى، جدة ١٩٨٩م .

فقال حسان شاعر المسلمين يهجو هنداً:

أشرت لكاع وكان عادتها لؤما إذا أشرت مع الكفر (١)

تلك هند بنت عتبة التى كانت زعيمة نساء المشركين فى أحد، وتلك أعمالها المشينة، البالغة القسوة والتشفى، وهذه كلماتها التى تفيض غلاً وكراهية للإسلام والمسلمين.

وسوف نراها من بعد حينما يشرح الله صدرها وزوجها للإسلام، تقوم بدور بطولى رائع فى صالح الإسلام والمسلمين، فى حرب المسلمين للروم فى معركة اليرموك.

وقبل أن ننهى حديثنا عن دور النساء فى معركة أحد، فإن هناك دورآخر ينبغى الوقوف عليه، وهو ما قامت به تلك النسوة المسلمات اللاتى بقين فى المدينة، ولم يخرجن فى الغزو، ولم يشهدن القتال! لقد ضربن أروع المثل فى استقبال الجند العائد بعد الهزيمة، ومثلن لهم دواء الصبروالاحتساب!

فها هى حمنة بنت جحش الأسدية، وهى ممن شهدن أحداً، سقت الماء وأسعفت المرضى، وحملت الجرحى، لكنها لم تعلم بمن استشهدوا من أهلها، فلما كان النبى ﷺ فى عوده بالجند إلى المدينة،

---

(١) تاريخ الطبرى، ٢/٥٢٥، عمر رضا كحالة: أعلام النساء، ٥/٢٤٤.

اقتربت منه حمنة، فنعى لها أخوها عبد الله بن جحش، فاسترجعت واستغفرت له، ثم نعى لهاخالها حمزة بن عبد المطلب، فاستغفرت له واسترجعت، ثم نعى لها زوجها مصعب بن عمير، فصاحت وولولت، فقال رسول الله ﷺ : إن زوج المرأة منها لبمكان؛ لما رأى من تثبتها عند أخيها وخالها وصياحها على زوجها[1] .

هذا موقف، وموقف آخر يرويه الواقدى، فيقول: إنه لما انتهت الحرب، وفرغ رسول الله ﷺ من دفن أصحابه، دعا بفرسه فركبه، وخرج المسلمون حوله، عامتهم جرحى، ولا مثل لبنى سلمة وبنى عبد الأشهل - (يعنى فى مصابهم) - ومعه أربع عشرة امرأة، فلما كانوا بأصل الحرة قال: - أى النبى ﷺ - اصطفوا فنثنى على الله! فاصطف الناس صفين، خلفهم النساء، ثم دعا رسول الله ﷺ فقال: اللهم لك الحمد كله...إلخ الخطبة التى ألقاها حينئذ. فخرج النساء ينظرن إلى سلامة رسول الله ﷺ ، فكانت أم عامر الأشهلية تقول: قيل لنا قد أقبل رسول الله ﷺ ، ونحن فى النوح على قتلانا، فخرجنا، فنظرت إليه فإذا عليه الدرع كما هى، فنظرت إليه فقلت: كل مصيبة بعدك جلل - أى هينة -[2] . وهذا بعينه الذى قالته أم سعد بن معاذ،

---

(١) ينظر: تاريخ الطبرى، ٢/٥٣٢، ابن سعد: الطبقات ٨/٢٤١ .

(٢) مغازى الواقدى: ١/٣١٤، وينظر: تاريخ الطبرى: ٢/٥٣٣ .

سيد الأوس؛ إذ خرجت تعدو نحو رسول الله ﷺ ، وسعد ابنها آخذ بعنان فرسه، قال: يارسول الله، أمي فقال ﷺ : مرحبا! فدنت حتى تأملته، فقالت: أما إذ رأيتك سالما فقد أشوت المصيبة (أى هانت)، فعزاها رسول الله ﷺ بعمرو بن معاذ ابنها، ثم قال: يا أم سعد، أبشرى وبشرى أهليهم أن قتلاهم قد ترافقوا فى الجنة جميعاً، وقد شفعوا فى أهليهم، قالت: رضينا يا رسول الله، ومن يبكى عليهم بعد هذا؟ ثم قالت: يا رسول الله، ادع لمن خلفوا، فقال ﷺ : اللهم أذهب حزن قلوبهم، واجبر مصيبتهم، وأحسن الخلف فيمن خلفوا...[1] .

---

(١) مغازى الواقدى، ٣١٦/١. د. عبد العزيز كامل: دروس من غزوة أحد ص١٠٠.

«مواقف الصحابيات في الغزوات من بعد أحد»

لعل دور النساء فى أحد كان بارزاً إلى حد كبير، قد يفوق كل دور لهن فيما بعد أحد، وهذا يعود إلى عدة أسباب:

الأول: أن أحداً كانت على مشارف المدينة، مما أتاح لكثرة من النساء أن يشهدنها.

والثانى: أنها كانت أول حرب تشارك فيها النساء فى الإسلام.

والثالث: أن الهزيمة التى لحقت بالمسلمين قد ضاعفت من دور النساء، وأحدثت مواقف جديدة فرضها الواقع، وأظهرها فى مواقف النساء آنذاك.

أما فى غزوة الخندق، فلم يكن قتال، سوى بعض المبارزات، أو الأعمال الفردية لنفر من المسلمين، وإن كانت بعض المصادر قد أوردت فى يوم الخندق موقفاً بطوليا لصفية بنت عبد المطلب؛ حيث إن رسول الله ﷺ ، قد جعل نساءه وأهل بيته فى حصن حسان بن ثابت، باعتباره من أمنع حصون المدينة. وكانت صفية معهم، فرأت يهوديا يطوف بالحصن، - واليهود فى الخندق قد غدروا وخانوا - فحملت عموداً ونزلت تتخفى وراء الجدار،

حتى فاجأت اليهودى فضربته حتى مات، ولم يمنعها من اغتنام سلبه إلا أنه رجل[1] . فكانت كما تقول أول امرأة قتلت رجلاً.

وعلى ذكر يوم الخندق، لا تفوتنا الإشارة إلى «طبيبة المجاهدين» كعيبة بنت سعد، أو «رفيدة» كما يسميها الطبرى[2] ، وهى من قبيلة أسلم، حيث اتخذت لها خيمة فى مسجد الرسول ﷺ ، كانت تداوى فيها الجرحى وتطببهم، فلمارمى سعد بن معاذ بسهم يوم الخندق، قال النبى ﷺ : اجعلوه فى خيمة رفيدة حتى أعوده[3]، فكانت خيمتها هذه بمثابة أول بيمارستان متنقل فى الإسلام.

وفى خيبر ٧ هـ: شركت نساء كثيرات، وقمن بدور بارز ومهم فى حرب اليهود الذين تحصنوا هناك، وكونواقاعدة التحدى للرسول ﷺ ، بعدما لم تفلح جهودهم المشتركة مع قريش من قبل فى أحد أو الخندق فى إيقاف تنامى دولة الإسلام وتعاظمها.

---

(١) ينظر: تاريخ الطبرى، ٥٧٧/٢، محمود مهدى الاستانبولى: نساء حول الرسول، ص ١٩٥.
(٢) تاريخ الطبرى: ٥٨٧/٢.
(٣) المصدر السابق، ابن سعد: الطبقات : ٢٩١/٨.

فكانت من أول من خرجن من النساء: أمية بنت قيس، جاءت فى نسوة من غفار إلى رسول لاله ﷺ ، فقلن: يارسول الله، نريد الخروج معك إلى وجهك هذا – تعنى خيبر – فنداوى الجرحى، ونعين الجند بما استطعنا. فقال لهن النبى ﷺ : على بركة الله[١] ، فكانت أمية فيمن خرجن، وقيل: أردفها النبى ﷺ خلفه[٢] فكانت تسقى الجند، وتساعد فى نقل الجرحى، وتحض على القتال، حتى لفتت انتباه النبى ﷺ ، فأشركها فى الغنيمة، وقلدهابعد الوقعة قلادة لم تفارق صدرها حتى ماتت[٣] .

وخرجت إلى خيبر أيضاً: كعيبة بنت سعد الأسلمية، طبيبة المجاهدين التى سبق الحديث عنها فى يوم الخندق، فقامت بدورها خير قيام، حتى أسهمها النبى ﷺ سهم المجاهد[٤] . وقد شاركت صفية بنت عبد المطلب مع كعيبة فى هذا الدور البارز؛ حيث اتخذتا معاً خيمة بالقرب من ميدان المعركة، داويا فيها الجراحات، وأسعفتا أصحاب الإصابات، وقامتا على خدمة معسكر المسلمين من خيمتهما، فأسهم النبى ﷺ لعمته صفية كما أسهم لكعيبة.

---

(١) ابن سعد: الطبقات: ٢٩٣/٨، عمر رضا كحالة: أعلام النساء، ٩١/١.
(٢)، (٣) عبد الله عفيفى: المرأة العربية فى جاهليتها وإسلامها، ص ٤٥.
(٤) المرجع السابق، وينظر: ابن سعد فى الطبقات: ٢٩١/٨.

وشاركت فى خيبر كذلك، سلمى مولاة النبى ﷺ امرأة أبى رافع مولاه، وهند بنت عمر بن حرام، وأم زياد الأشجعية، التى كانت سادسة ست نسوة فى خيبر، وأسهم لهن رسول الله ﷺ [1] . وشهدتهاأيضاً: أم رمثة بنت عمرو بن هاشم بن عبد المطلب، وأم أيمن مولاة رسول الله ﷺ .

وإذا كان رسول الله ﷺ قد أذن لنساء غفار فى الخروج معه إلى خيبر، فقد أذن لنساء من أسلم كذلك؛ حيث جاءته «أم سنان الأسلمية» ترجوه الصحبة، فقال لها: اخرجى على بركة الله، فإن لك صواحب قد كلمننى وأذنت لهن، من قومك ومن غيرهم، فإن شئت فمع قومك، وإن شئت معنا! فقالت أم سنان: معك، فقال رسول الله ﷺ : قد تكونين مع أم سلمة زوجى، فكانت معها[2] فشهدت خيبر وقامت بما تقوم به النساء.

---

(١) أبو يوسف : الرد على سير الأوزاعى ص ٣٧ «الحاشية»، عمر رضا كحالة: أعلام النساء ٤٣/٢، وورود عبارة «سادسة ست نسوة» ربما جاء من أنها عرضت نفسها على النبى ﷺ للخروج معه مع خمسة نسوة أخريات. وليس معناه أن كل من خرج من النسوة إلى خيبر كن ستاً، فهن أكثر من ذلك.

(٢) د/ عبد الصبور شاهين: صحابيات حول الرسول ص ١٦٤.

وممن شهدن خيبر أيضاً، أم مطاع الأسلمية، وأم رمثة بنت عمرو بن هاشم بن عبد المطلب[١]، ونسيبة بنت كعب (أم عمارة) التى لم تتخلف عن مشهد من المشاهد، وأم سليط النجارية الأنصارية، التى أورد البخارى فى حقها، عن ثعلبة بن أبى مالك، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قسم مروطاً[٢]، بين نساء من نساء المدينة، فبقى مرط جيد، فقال بعض من عنده: يا أمير المؤمنين، اعط هذا ابنة رسول الله ﷺ التى عندك – يريد أم كلثوم بنت على بن أبى طالب التى كانت زوجة لعمر – فقال عمر: أم سليط أحق؛ فإنها كانت تزفر لنا القرب يوم أحد[٣].

وقطعاً شهدت نساء أخريات خيبر، لكن لم يسجل الرواة والإخباريون حضورهن، وتورد كتب الحديث والتاريخ التراجم عبارات عامة، تشير إلى ذلك، كأن يقال فى ترجمة أى من النساء: «... وكانت تخرج فى كل الأسفار» أو «... وشهدت مع رسول ﷺ المشاهد كلها» أو «... وكانت تخرج فى الحرب، تسقى الظمأى،

(١) ينظر: ابن سعد فى الطبقات ٢٩٢/٨، عمر رضا كحالة: أعلام النساء ٢٥٨/٥، ٢٥٥/٢، ٤٦٠/١.

(٢) المرط: كساء من خز أو صوف يؤتزر به. وتزفر القرب: تخيطها.

(٣) صحيح البخارى: ٨٤/٥، فتح البارى بشرح صحيح البخارى: ٩٣/٦.

وتداوى الجرحى...» إلى غير ذلك، دون ذكر للغزوة التى خرجت فيها[١] .

ومن مثال ذلك ما رواه الإمام مسلم فى صحيحه، عن أم عطية الأنصارية، التى كانت خاتنة تخفض البنات، أنها قالت: غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات، أخلفهم فى رحالهم فأصنع لهم الطعام، وأداوى الجرحى، وأقوم على المرضى[٢] .

فــى حنــين : قبل الحديث عن مشاركات النساء فى غزوة حنين، لابد أن نقرر أن نساء كثيرات خرجن فى فتح مكة، كما خرجن فيماقبلها، ولما لمكة عندهن من المنزلة، ففيهاالبيت الحرام، وهى مسقط الرأس، ومنها كان المخرج عند الهجرة. غير أن لم يكن للنساء يوم الفتح من دور أو أثر، حيث فتحت مكة دون قتال.

لكن لما كان يوم حنين شاركت تلك النسوة، وقمن بدور بارز سُجل لهن؛ حيث اقتضت الظروف ذلك، لما أنس المسلمون بكثرتهم، فدارت عيهم الدائرة، وتفرقت جموعهم. فقامت صواحب البطولات السابقة ببطولات جديدة.

---

(١) ينظر: صحيح مسلم. باب غزو النساء، تاريخ الطبرى ١٧/٢، تاريخ اليعقوبى ١٤٥/٢، ابن الأثير: الكامل ١٥١/٢، وغير ذلك كثير.

(٢) صحيح مسلم ١٩٤/١٢، ابن سعد: الطبقات ٤٥٥/٨، رفاعة الطهطاوى: الدولة الإسلامية نظامها وعمالاتها ص ٣٠٢.

وها هى «أم سليم» ابنة ملحان[١] ، تحزم وسطها ببرد لها، حتى لا تتعثر فى أرض المعركة، ومعها خنجر اتخذته سلاحاً، فتلتقى برسول الله ﷺ ، فيسألها: ما هذا الخنجر؟ فتقول: اتخذته إن دنا منى أحد من المشركين بقرت به بطنه. فجعل رسول الله ﷺ يضحك. ثم نراها تلمح إلى ماهو موجود فى قوانين الحرب من بعد، من إباحة قتل من يفر من الميدان موليا، حيث تكمل حوارها مع النبى ﷺ قائلة له: يارسول الله، اقتل من بعدنا من الطلقاء، انهزموا بك! فيجيبها ﷺ بقوله: أو يكفى الله يا أم سليم[٢] . وقامت بنفس الدور معها: نسيبة بنت كعب، ونساء أخريات شاركن فى دفع الفارين وإثارة نوازع الإيمان عند الضعفاء والخائفين، بل وتهيأن للقتال إذا لزم الأمر.

وفى اعتقادى أن آخر مشاركات النساء البطولية كانت فى حنين؛ حيث لم أقع على شيئ لهن فى مؤتة، وكذلك فإن غزوة تبوك التى كانت آخر غزوة غزاها رسول الله ﷺ ، ربمالم تخرج فيها

---

(١) أم سليم هى أم أنس بن مالك، وتلقب بـ «الرميصاء» أختها «أم حرام» التى سبق الحديث عنها فى ص ٦ من البحث.

(٢) صحيح مسلم: ١٨٨/١٢ . وقد ورد أن أم سليم قامت بهذاالدور مع كونها حاملاً بابنها من بعد «عبد الله بن أبى طلحة» ينظر: ابن سعد فى الطبقات: ٤٢٥/٨ .

النساء، بل لم يسجل لهن فيها شيء؛ لأن لم يكن فيها قتال كقتال أحد وخيبر وحنين؛ إذ صالح رسول الله ﷺ صاحب أيلة الذى جاء النبى بدون قتال، فكتب له كتابا. وكتب أيضاً لأكيدر بن عبد الملك الكندى، وحقن دمه، وهكذا[١] .

ولم يكن هذاهو السبب الأوحد لعدم ظهور دور للنساء؛ بل إن هناك سبب آخر مهم يسبقه، منذ أيام التجهز للغزوة، فهى كما هو معلوم غزوة العسرة، وكان الناس فى ضيق شديد، وشدة من الحر، وجدب من البلاد، إضافة إلى بُعد الشقة، وشدة الزمان، وكثرة العدو الذى يقصدونه[٢] .

بكل هذا تجهز من تجهز من الناس على ما فى أنفسهم من الكره لهذا الخروج، وكره ناس الخروج، واعتذر آخرون، فلم يخرجوا.. فإذا كان الأمرعلى ما رأينا فإنه لا يظن أن تخرج النساء والحال هذه.

وقبل أن ننتقل للحديث عن دورالنساء فى عهد الراشدين، يلزمنا مناقشة أمرين مهمين. الأول: ما تناقلته بعض الروايات من أن رسول الله ﷺ قد غضب من خروج النساء فى بعض الغزوات وظهر

---

(١) تاريخ الطبرى: ٣/١٠٨، ١٠٩، تاريخ اليعقوبى: ٢/٦٧، ٦٨.

(٢) تاريخ الطبرى: ٣/١٠١.

ذلك الغضب فى وجهه وصرح به! والثانى: هو السؤال الذى تردد كثيراً، ودار فيه حوار واسع بين المؤرخين، وهو: هل كان رسول الله ﷺ يسهم للنساء إذا خرجن فى الغزو أم لا؟. والأمران كلاهما متصل بالآخر، متعلق به.

فأما بخصوص الأمر الأول، فلعله راجع إلى أصل جوازالجهاد للنساء، وهذا ثابت أنه لم يتقرر، ولم يكن خروج النساء بقصد إشراكهن فى القتال، بل لما سبق ذكره، من الصحبة للزوج والقيام بشئونه، ثم ما يقتضيه الحال بعد ذلك فى أثناء القتال، من أعمال معاونة، كسقى الماء، ومداواة الجرحى، ونقل المصابين، والحض على القتال... إلخ. بدليل ما ورد فى ذلك من أحاديث كثيرة[1] .

فإذا قد ثبت أن الإسلام لم يقرر للمرأة القتال، حفاظاً لرقتها وأنوثتها وخشية من احتكاكها بالأجانب، وإذا قد ثبت أن خروجها فى الغزو كان لمقاصد أخرى غير القتال. فإنه يتأكد لنا أن ما قامت به النسوة فى معارك الإسلام، ما كان إلا من إفرازات واقع الحال، واقتضاء الضرورة.

---

(١) ينظر: صحيح البخارى جـ٥ باب الجهاد، صحيح مسلم أيضاً جـ١٢، فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ٦ كتاب الجهاد والسير.

وإلا، فكيف نفسر ما ورد فى ذلك، وهو كثير، منه: قول النبى ﷺ فى أم عمارة الأنصارية يوم أحد: «ما التفت يمينا ولا شمالاً يوم أحد إلا وأنا أراها تقاتل دونى»[١] . وقول أنس رضي الله عنه : كان رسول الله ﷺ يغزو بأم سليم، ونسوة من الأنصار معه إذا غزا، فيسقين الماء، ويداوين الجرحى[٢] . إلى غير ذلك مما أوردته كتب الحديث والسيرة.

أما الأمر الثانى، وهو: هل كان رسول الله ﷺ يسهم للنساء إذا خرجن فى الغزو؟ فإنه لما لم يكن خروج النساء فى الغزو واجباً، فلسن من عداد الجند حتى يسهم لهن. فالغالب أن كان النبى ﷺ يرضخ لهن، أى يُعطيهن من الفيئ ما يرضيهن، ويعوضهن عما بذلن من الجهد. هذا ما يفهم من عبارة ابن الأثير، حيث قال: وفى هذه السفرة (يعنى خيبر) ...، وشهدت معه ﷺ نساء من نساء المسلمين، فرضخ لهن من الفيئ[٣] ، وحديث ابن عباس الذى فيه:

---

(١) فتح البارى: ٦/٩٣، ابن سعد: الطبقات الكبرى ٨/٤١٥.

(٢) صحيح مسلم: ١٢/١٨٨.

(٣) الكامل: ٢/١٥١.

أن كان النبى ﷺ يغزو بالنساء، فيداوين الجرحى، ويُحذين من الغنيمة، وأما بسهم فلم يضرب لهن...[1] .

أماعبارة أبى يوسف التى نقلها عن الأوزاعى فى قوله: «أسهم رسول الله ﷺ للنساء بخيبر»[2] فقد جاء فى تعليلها أنها ضعيفة الإسناد، أو احتمال أنه عليه الصلاة والسلام استطاب أنفس أهل الغنيمة، أو أنه إنما أعطاهن النبى ﷺ من الخمس الذى هو حقه[3] .

---

(١) صحيح مسلم: ١٢/١٩٠.

(٢) الرد على سير الأوزاعى: ٣٧.

(٣) المصدر السابق: ٣٧ «الحاشية».

جهاد الصحابيات في صر الراشدين:

كانت الغزوات التى خاضها المسلمون فى عهد النبى ﷺ لتأمين الدعوة وإقرارها بين العرب، وحماية دولة الإسلام الناشئة من أن ينالها معتد، سواء كان من داخلها أو من خارجها. فلما كانت خلافة الراشدين واستلزم الأمر انطلاق حملات الفتح لإيصال الدعوة إلى مــن لم تصلهم بعد من الأمم والشعوب، أدى ذلك بدوره إلى تشوق المسلمين للجهاد فى سبيل تلك الغاية، يطلبون إحدى الحسنيين: النصر أو الشهادة.

فكان من أولويات هذا الدور الانطلاق خارج حدود شبه الجزيرة، لمواجهة القوتين العظيميين آنذاك: الفرس والروم، الذين كانت مقدرات أغلب شعوب الأرض بأيديهم.. وفى هذه المرحلة سمح الخلفاء للأسر والقبائل أن تخرج فى هذه الحملات بنسائها وذراريها نظر لبعد المسافة عن عاصمة الإسلام، وطول المكث فى أرض العدو وتمثل ذلك منذ عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، حيث أطلق عمر للقبائل حرية الخروج فى الفتح، ورفع عنها الحظر، فأطلق بذلك الطاقات الكامنة عند المحاربين من عقالها، لتندفع هادرة كالسيل. ومنذ هذا التاريخ أخذت الجيوش العربية لا تتألف من محاربين

متطوعين كما هى الحال من قبل، وإنما أصبحت تتألف من قبائل برمتها، تهاجر جملة حاملة معها نسائها وأطفالها[1] ،

النساء فى معركة اليرموك:[2]

كانت اليرموك من أعظم المعارك وأشدها فيما بين المسلمين والروم، وقدر لها أن تكون الفاصلة، بين قوتين كلتاهما تريد البقاء والظهور، وإثبات الذات، غير أن الروم بالمقاييس المادية كانوا أرجح كفة من المسلمين، من حيث العدد والعتاد، والميدان الذى يقاتلون فيه، أما المسلمون فلم يكن ليرجح جانبهم إلا صدق النية فى المخرج، وحسن الثقة فى نصر الله الذى ما خرجوا إلا لإعزاز دينه.

لهذا فقد كانت كتيبة الإسلام فى حاجة إلى كل جهد، مما جعل أبا سفيان يشير على قائد المسلمين أبى عبيدة بن الجراح وهو يعبئ

(١) د/ أحمد إبراهيم الشريف: الفتوح الكبرى فى عهد الفاروق، مقال منشور فى مجلة منبر الإسلام، شعبان ١٣٨٥هـ - نوفمبر ١٩٦٥م ص ١٥٠.

(٢) اليرموك: واد بناحية الشام، بجوار بصرى، يسيل فيه الماء حتى يصب قرب بحيرة طبرية، واسمه اليونانى Hieromax، عربه العرب فقالوا: يرموك وعلى ضفاف ذلك الماء حصلت تلك الوقعة الهائلة، وهى ذات شأن عظيم فى فتوح الشام، لأن فوز المسلمين فيها نشطهم على مواصلة الفتح، وأضعف عزائم الروم. (جورجى زيدان: تاريخ التمدن الإسلامى ١/٧١)، (ياقوت: معجم البلدان ٥/٤٣٤).

جنده، بأن يجعل النساء على التل، فيكن بمثابة مؤخرة الجيش، معهن الأولاد والمؤن. ثم كلفهن بمهمة الحض للرجال على القتال، حيث قال لهن: خذن بأيديكن أعمدة البيوت والخيام، واجعلن الحجارة بين أيديكن، وحرضن المؤمنين على القتال، فإن كان الأمر لنا والظفر فكن على ما أنتن عليه، وإن رأيتن أحداً من المسلمين منهزماً فاضربن وجهه بأعمدتكن، واحصبنه بحجارتكن، وارفعن إليه أولادكن، وقلن له: قاتل عن أهلك، وعن دين الإسلام. فقالت النساء له: أيها الأمير، أبشر بما يسرك[1] .

هذا يبين لنا إلى أى مدى كان المسلمون فى موقف عصيب، وهم فى أرض غير أرضهم، وأمام جموع حاشدة من الأعداء. كما يبين أيضاً أن النساء هنا قد كلفن بالمهام من قبل بدء اللقاء، وذلك طبعاً لخطورة الموقف وشدته.

وفى أول جولات المعركة، حدث أن تكاثرت جموع الروم على ميمنة المسلمين فعادت الخيل تنكص بأذنابها، راجعة على أعقابها، منكشفة كانكشاف الغنم بين أيدى الأسد. ونظرت النساء خيل المسلمين راجعة على أعقابها، فنادت النساء: يانساء العرب، دونكن والرجال، ردوهن من الهزيمة حتى يعودوا إلى الحرب. تحكى ذلك

---

(١) الواقدى: فتوح الشام: ١/٢٠٣.

المشهد إحداهن، هى: سعيدة بنت عاصم الخولانى، فتقول: كنت فى جملة النساء يومئذ على التل، فلما انكشفت ميمنة المسلمين، صاحت بنا عفيرة بن غفار: يانساء العرب، دونكن والرجال، واحملن أولادكن على أيديكن، واستقبلنهم بالتحريض، فأقبلت النسوة يرجمن وجوه الخيل بالحجارة، وجعلت ابنة العاص بن منبه تنادى: قبح الله وجه رجل يفر عن حليلته، وجعل النساء يقلن لأزواجهن: لستم لنا ببعولة إن لم تمنعواعنا هؤلاء الأعلاج[1] .

قال العباس بن سهل الساعدى[2] : كانت خولة بنت الأزور، وخولة بنت ثعلبة الأنصارية، وكعوب ابنة مالك بن عاصم، وسلمى ابنة هاشم، ونعم ابنة فياض، وهند بنت عتبة بن ربيعة، ولبنى ابنة جرير الحميرية، متحزمات وهن أمام النساء، والمزاهر معهن، وخولة تقول هذه الأبيات:

ياهاربا عن نسوة ثقات	لها جمال ولها ثبات
تسلموهن إلى الهنات	تملك نواصينا مع البنات
أعلاج سوق فسق عتاة	ينلن منا أعظم الشتات

---

(١) الأعلاج: رجال الروم.

(٢) الكلام للواقدى: ٢٠٦/١.

فرجعت الفرسان تحرض الفرسان على القتال، ورجع المنهزمون رجعة عظيمة عندما سمعوا تحريض النساء، وخرجت هند بنت عتبة، وبيدهامزهر ومن خلفها نساء من المهاجرين، وهى تقول الشعر الذى قالته يوم أحد وهو هذا:

نحن بنات طارق	نمشي على النمارق
مشي القطا الموافق	قيدي مع المرافق
ومن أبى نفارق	فراق غير وامق
إن تغلبوا نعانق	أو تدبروا نفارق
هل من كريم عاشق	يحمي عن العواتق

ثم استقبلت خيل ميمنة المسلمين فرأتهم منهزمين، فصاحت بهم: إلى أين تنهزمون؟ أين تفرون من الله ومن جنته وهو مطلع عليكم؟ ونظرت إلى أبى سفيان زوجها منهزماً، فضربت وجه حصانه بعمودها، وقالت له: إلى أين يا ابن صخر؟ ارجع إلى القتال، وابذل مهجتك، حتى تمحص ما سلف من تحريضك على رسول الله ﷺ[1] .

فعندما سمع أبو سفيان كلام هند عطف والمسلمون معه على الروم، وقامت نساء المسلمين مع الرجال يسابقنهم، وبأيديهن عمد

---

(١) الواقدى: فتوح الشام: ١/٢٠٦، ونفس المعنى للبلاذرى فى فتوح البلدان ص ١٨٤.

الخيام، بين أرجل الخيل، ويروى شاهد عيان فى هذا وهو ورقة بن مهلهل التنوخى، صاحب راية أبى عبيدة يوم اليرموك، فيضيف إلى ما سبق، أن قد رأى امرأة من نساء المسلمين، وقد أقبلت إلى علج عظيم من الروم، وهو على فرسه فتعلقت به، ومازالت به حتى نكسته عن جواده وقتلته، وهى تقول: هذا بيان نصر الله المسلمين(١) .

هذاالمشهد يدل أبلغ الدلالة على خطورة الموقف وتحرجه بالنسبة للمسلمين، حيث انكشفواأمام الروم وارتدواإلى مؤخرتهم فى معسكر النساء على التل، ممايتطلب تضافر كل جهد، وبذل كل طاقة فكان ما رأينا من موقف النساء البطولى فى دفع الفارين ثانية إلى الميدان، بل والمشاركة معهم بكل مااستطعن، حتى تبدل الحال، وصمد المسلمون للروم حتى كسروهم. وقد مثل عبد الله بن الزبير رضي الله عنه شاهد عيان ثان فى هذا الموقف، حيث كان بصحبة أبيه يوم اليرموك وهو صبى(٢) .

ويتكرر نفس الموقف ثانية، حينما يحمل الروم على قلب جند المسلمين وميسرتهم، ويكشفوهم حتى يردوهم إلى معسكر النساء، فتستقبلهم النساء بالعمد، يضربن وجوه الخيل، ويرمين وجوهها

---

(١) فتوح الشـام : ٢٠٧/١ .

(٢) فتوح الشام: ٢٠٧/١، ابن الأثير: الكامل: ٢٨٤/٢ .

بالحجارة، وينادين بهم: إلى أين تنهزمون يا أهل الإسلام عن الأمهات والأخوات والبنين والبنات؟ أتريدون أن تسلمونا للأعلاج؟ فيقول منهال الدوسي- وهو ممن شهدوا الوقعة -: لقد كانت النساء أشد عليناغلظة من الروم[١] .

والظاهر في معنى كلامه أن غلظة النساء جاءت من تحريضهن وردهن الجند بعبارات كانت قاسية في معناها - والحال كذلك - فكانت الشدة معنوية، حركت نفوس الرجال، وهيجت مشاعرهم للزود عن حرم المسلمين وصبيانهم. وتعدى دور النساء ذلك إلى القيادة العامة؛ حيث أقبلت ذرعة ابنة الحرث منحدرة عن التل، وهي تقول: ما فعل خالد؟ حتى وقفت بين يديه، وقالت: يا ابن الوليد، أنت من العرب الكرام، وإنما الرجال بأمرائها، فإن ثبتواثبتت الرجال معهم، وإن انهزموا انهزمت الرجال معهم، فقال لها خالد: ما كنت من المنهزمين، وما كنا إلا نقاتل في الأعلاج. فقالت: قبح الله وجه عبد نظر إلى أميره ثابتاً وهو منهزم عنه[٢] .

بكل هذا الحض والتحريض على القتال من النساء للرجال جنداً وقادة، تراجع المسلمون عن الهزيمة، ونادى بعضهم بعضا، وتواصوا

---

(١) فتوح الشام: ١/٢٠٨.

(٢) المصدر السابق: ٢٠٩.

بالحق وتواصوا بالصبر، وعطفوا على الروم عطفة عظيمة، فوضعوا فيهم السيوف، حتى ردوهم وكسروهم، وثبتت قلوب المسلمين، وفى ذلك يورد «سيديو» عبارته الشهيرة التى يقول فيها: «ومما زاد جنود العرب حماسة ما أبدته كتيبة المجندات التى أمرت بأ ن تردى بسهامها كل مسلم يفر...»[1] .

وينتهى اليوم الأول من القتال مع غروب الشمس، ويعود جند العرب، وكل فريق منهم يهتف بشعاره وينادى بنسبه، وهنا استقبل المسلمين نساؤهم، فصارت المرأة تأخذ مرطها «غطاء الرأس» تمسح به عن وجه زوجها، وتقول له: ابشر بالجنة ياولى الله.

ولأن معركة اليرموك لم تنته فى جولة واحدة، وإنما شهدت عدة جولات فى عدة أيام، فقد شاهدنا موقفا آخر للنساء، حينما تكاثر الروم على المسلمين، وألصقوهم بالتل الذى عليه النساء، وأحاطوا به، حتى صاحت إحدى النساء: أين أنصار الدين؟ أين حماة المسلمين؟ وكان الزبير بن العوام جالساً عند زوجته أسماء بنت أبى بكر يداوى عينه التى أرمدت، فلما سمع استغاثة المرأة قال: يا أسماء، ما لهذه المرأة تصيح هكذا؟ فقالت له عفرة ابنة عثمان: يا ابن عمة رسول الله، انهزمت ميمنة المسلمين حتى ألجأهم الروم إلينا، وأحاط بنا

---

(١) تاريخ العرب العام: ص ١٢٠.

الأعلاج، وهذه نساء الأنصار يستصرخن بأنصار الدين. فقال الزبير: إنى والله لمن أنصار الدين، ولا يرانى الله جالساً فى مثل هذا الوقت، ثم طرح العصابة عن عينه، واستوى على متن جواده، وأخذ قناته، وتسمى باسمه، وقال فى حملته على الروم: أنا الزبير بن العوام، أنا ابن عمة رسول الله ﷺ ، وجعل يطعن فى الروم طعناً متداركاً، حتى ردهم على أعقابهم، وخيلهم تنكص بأذنابها[1] . وفى هذا يروى الواقدى عن ليث بن جابر، صاحب الرواية قوله: فلله در الزبير بن العوام، لقد رد الروم بنفسه وحده، إذ حمل عليهم، وما كان معه من العرب أحد حتى ردهم إلى عسكرهم، فلعل هذا كان من باب البطولات الفردية التى استلزمتها الحال، مما كان له بالغ الأثر فى نفوس الجند، فتراجعوا إلى القتال، وتنادوا له، واشتدوا على العدو جميعهم.

ويؤكد على هذا الدور الذى قامت به النساء فى اليرموك، ما يرويه عبد الله بن قرط الأسدى، وهو ممن شهدواالوقعة، حيث يقول: شهدت القتال كله، فلم أر قتالاً أشد من يوم التعوير، ورجعت الخيل على أذنابها، وقاتلت الأمراء بأنفسها، والرايات بأيديهم، حتى كان أبو عبيدة، ويزيد بن أبى سفيان، وعمرو بن العاص، والمسيب بن نجية

---

(١) فتوح الشام: ٢١٣/١.

الفزارى، وعبد الرحمن بن أبى بكر الصديق، والفضل بن العباس يقاتلون قتالاً شديداً، فقلت فى نفسى: وكم مقدار مايقاتل هؤلاء وهم نفر يسير حتى ساعدتنا النساء اللاتى شهدن مع رسول الله ﷺ المشاهد، يداوين الجرحى، ويسقين الماء، ويبرزن إلى القتال. ولم أر امرأة من نساء قريش قاتلت بين يدى رسول الله ﷺ ، ولافى اليمامة مع خالد مثلما قاتلت نساء قريش يوم اليرموك، حين دهمهن القتال، وخالط الروم المسلمين، فضربن بالسيوف ضرباً وجيعاً... وكان قد انضم نساء المهاجرات لغيرهن، وقامت الحرب على ساق، وتنادى النساء بأنسابهن وأمهاتهن وألقابهن، وجعلن يقاتلن قتال الموت، ويضربن وجوه الخيل بالعمد، ويلوحن بالأطفال، وجعل النساء بعضهن يقاتل المشركين، وبعضهن يقاتل المسلمين، حتى رجعوا إلى قتال المشركين، وبعضهن يسقى الماء، وبعضهن يشد الجراح. فبينما هن يقاتلن وقد هجمت الرجال إذ انهزمت نساء لخم وجذام وخولان، فخرجت خولة بنت الأزور، وأم حكيم بنت الحرث، وسلمى بنت لؤى، وجعلن يضربن فى وجوههن ورؤوسهن بالعمد ويقلن: اخرجن من بيننا فأنتن توهن جمعنا. فرجعت نساء لخم وجذام يقاتلن قتال الموت، وقاتلت أم حكيم بنت الحرث أمام الخيل بالسيف، وما نسمع يومئذصوت واحدة من النساء غير صوت واعظة تعظ. وأما أم حكيم فإنها جعلت تنادى: يا معاشر العرب، احصدوا الغلف بالسيوف.

وأما أسماء بنت أبى بكر فإنها قرنت عنانها بعنان زوجها الزبير بن العوام، فما كان يضرب إلا ضربت مثله، فتراجع المسلمون إلى القتال حين رأوا النساء يقاتلن قتال الموت. ويقول الرجل لمن يليه: إن لم نقاتل نحن هؤلاء، وإلا فنحن أحق بالخدور من النساء، فلله در نساء قريش يوم اليرموك[1] .

وإذا قد تمثلت شجاعة أسماء بنت أبى بكر بشجاعة زوجها الزبير، فقد تمثلت فى المعركة أيضا شجاعة خولة بنت الأزور بشجاعة أخيها ضرار؛ فقد حملت خولة على علج من الأعلاج كان قد اقترب من النساء، وجعلت تشالشه بالسيف، حتى ضربها على قصتها بسيفه فأسال دمها، وسقطت على الأرض، ورأتها عفيرة بنت عفان صريعة، فصاحت ونادت: فجع والله ضرار فى أخته. وأخذت رأسها على ركبتها، والدم قد صبغ شعرها فقالت لها: كيف تجدك؟ قالت: أنا بخير إن شاء الله تعالى، ولكنى هالكة لا محالة، فهل لك على بأخى ضرار؟ فقالت عفيرة: يا ابنة الأزور ما رأيته. قالت خولة: اللهم اجعلنى فداء لأخى، ولا تفجع به الإسلام. قالت عفيرة: فجهدت أن تقوم معى فلم تقو على القيام، فحملناها إلى أن أتينا بها موضعها. فلما كان الليل، رأيتها وهى تدور تسقى الرجال، وكأن ليس بها ألم قط، ونظر إليها أخوها والضربة فى رأسها، فقال لها ما بك؟ قالت: ضربنى

(١) فتوح الشام: ١/٢١٨.

علج قتلته عفيرة. فقال لها: يا أختاه، أبشرى بالجنة، فقد أخذت لك بثأر الضربة مراراً، وقتلت منهم أعداداً[١] .

وغير هذا، فقد قامت خولة بنت الأزور بأدوار بطولية فدائية تحت قيادة خالد بن الوليد فى حرب الروم، ومنها ذلك الدور الرائع الذى قامت به لإنقاذ أخيها ضرار من أسر الروم. ومما يؤثر عنها أنها حاربت فى إحدى صولات المعركة وهى ملثمة، وأبلت بلاءً حسناً فى القتال، فأعجب خالد بشجاعتها، وبعد انتهاء المعركة طلبها وهو يعتقد أنها رجل، فأخذ يسأله عمن يكون، فأنكرت حتى رفع اللثام عن وجهها وعرف أنها خولة[٢] .

وهذا يؤكد أن خولة كانت تجاهد فى سبيل الله تعالى، لنصرة المسلمين وإعزاز الإسلام ، لاطلباللشهرة ولا للفخر ولا للوصول إلى مراكز القيادة أو الحصول على الأوسمة والنياشين، بل تجاهد كجندى مجهول من أجل الدين والقيم والمبادىء والمثل[٣] .

وفـــى إشـــارة خـاطـفـة عن دور الـنساء يوم الـيـرمـوك، يروى الطبرى أن النســاء قاتلــن يــوم اليرموك فـــى جـولـة، وكان ممــن

(١) المصدر السابق والصحيفة.

(٢) الشيخ أحمد جمال عبد العال: نساء خالدات فى القرآن الكريم ص ٦٤.

(٣) المرجع السابق والصحيفة.

خرجن فيها جويرية ابنة أبى سفيان، كانت مع زوجها، فأصيبت بعد قتال شديد[1] .

وقبل أن طوى صفحة اليرموك نختم بهذا المشهد الرائع الذى شاركت فى بطولته أسماء بنت أبى بكر الصديق رضي الله عنها ، حيث إنها فى إحدى ليالى اليرموك، وبعد أن عاد كل فريق إلى عسكره، وجند المسلمين متعبون، وقد فرشت الأرض بالقتلى والدماء. قامت النساء عندئذ بإعداد الطعام، وإسعاف الجروح ومداواة المرضى، ولم يقل أبو عبيدة لأحد من المسلمين من يكون الليلة على حراسة المسلمين لمارآه فيهم من شدة التعب، وتولى الحراسة بنفسه، ومعه جماعة من المسلمين تطوعوا لذلك. وبينما هو يدور إذ رأى فارسين قد لقياه، وهما يدوران بدورانه، فكلما قال: لا إله الا الله قالا: محمد رسول الله، فاقترب منهما، فإذا هما الزبير بن العوام وزوجه أسماء بنت أبى بكر، فسلم عليهما، وقال: يا ابن عمة رسول الله ﷺ، ما الذى أخرجكما؟ قال الزبير: خرجنا نحرس المسلمين، وذلك أن أسماء قالت لى: يا ابن عمة رسول الله ﷺ إن المسلمين مشتغلون بأنفسهم فى هذه الليلة عن الحرس بما لحقهم من التعب فى الجهاد طول يومهم، فهل لك أن تساعدنى على حرس المسلمين؟ فأجبتها إلى ذلك. فشكرهما أبو

---

(١) تاريخ الطبرى : ٤٠١/٣، عمر رضا كحالة: المرأة فى عالمى العرب والإسلام ص ١٥٦، د. عبد المقصود نصار: الخلفاء الراشدون. ص ٤٢.

عبيدة وعزم عليهما أن يرجعا فلم يفعلا، ولم يزالا كذلك إلى الصباح[1] .

غير أنه لايفوتنا فى هذا المشهد الذى مر أن نقف على صورة أخرى من من صور الإيثار والفداء والتضحية. وذلك أن أباعبيدة وهو القائد الأعلى للجند، لما رأى ما لحق جنده من المشقة والتعب، آلى على نفسه ألا يعين جماعة تقوم على حراسة المعسكر ليلاً، وقام بنفسه بهذا الدور، مع من تطوع للحراسة معه من دون تعيين، وتلحظ أسماء بنت أبى بكر ذلك فتشير على زوجها بأن يقوم معها بحراسة جند المسلمين، فى ليلة ظنت أن ليس بها حراسة، ويلبى الزوج نداء زوجته، وكل ذلك من كل هؤلاء ما كان إلا من باب إيثار الجماعة بالراحة والسكينة.

---

(١) فتوح الشام: ١/٢٢٠، ٢٢١.

فى القادســـية:

مثلت موقعة القادسية اللقاء الفاصل والحاسم بين المسلمين والفرس، فكانت فى هذا الجانب بمثابة اليرموك بين المسلمين والروم. واستمرت العمليات الحربية بين المسلمين والفرس فى القادسية ثلاثة أيام: أرماث وأغواث وعماس، وتم النصر للمسلمين فى اليوم الرابع.

ولم يكن دورالنساء فى القادسية بأقل منه فى اليرموك، إذ كان عليهن سقى الماء، وإعداد الطعام، ودفن الموتى، ومداواة الجرحى. وكان من الملاحظ أن النساء تواجدن فى القادسية بأعداد غفيرة أكثر بكثير مما كان فى اليرموك، ومرجع ذلك إلى تواجد المسلمين فى هذه الجبهة من قبل مع المثنى بن حارثة، واستقرارهم معه قريبا من بلاد فارس، إضافة إلى من جئن مع سعد بن أبى وقاص من الحجاز، ومن قدمن مع جند الشام بعد فتح دمشق للمعاونة.

ويتمثل أول دورللنساء فى القادسية فى موقف سلمى بنت خصفة امرأة سعد بن أبى وقاص، بعد وفاة زوجها المثنى بن حارثة، حيث كان سعد مريضاً يشرف على سير المعارك من قصره، فلما رأت سلمى اشتداد الفرس وكثرتهم على المسلمين، صاحت: وامثنياه، ولا مثنى للخيل اليوم! فلطم سعد وجهها، وقال: أين المثنى من هذه الكتيبة التى تدور عليها الرحى؟ فقالت: أغيرة وجبنا! قال: والله لا

يعذرنى اليوم أحد إذا أنت لم تعذرينى، وأنت ترين ما بى، والناس أحق ألا يعذرونى[1] .

طبعاً كانت سلمى ترى ما بزوجها من الألم الذى أقعده، والضجر الذى يحس به وهو يرى أصحابه فى المعركة، لكنها ربما اندفعت بفطرة المرأة المسلمة التى يؤرقها أن ترى جند المسلمين منهزمين. أو لعلها استرجعت بطولات زوجها السابق - المثنى - فى هذا الميدان، فلم تملك نفسها أن تنادى به. مما يمنع احتمال أى معنى آخر لما فاهت به.

يدلل لهذا، موقفها الثانى فى نفس الموقعة، حيث كان سعد قد حبس أبا محجن الثقفى، وقيده، فلمارأى هذا ما يصنع الفرس بالمسلمين أتى سلمى، فقال لها: هل لك إلى خير؟ قالت: وما ذاك؟ قال: تخلين عنى، وتعيريننى البلقاء «فرس سعد»، فلله على إن سلمنى الله أن أرجع إليك حتى أضع رجلى فى قيدى، فقالت: وماأنا وذاك! تعنى أن هذا أمر ليس لها فيه أمر، فرجع أبو محجن يرسف فى قيوده، ويقول:

---

(١) تاريخ الطبرى: ٥٤٢/٣، ابن الأثير: الكامل: ٣٢٧/٢، النويرى: نهاية الأرب فى فنون الأدب: ٢٠٧/١٩ .

كفي حزنا أن ترتدي الخيل بالقنا	وأترك مشدودا علي وثاقيا
وقد كنت ذامال كثير وإخوة	فقد تركوني واحدا لا أخاليا
ولله عهد لا أخيس بعهده	لئن فرجت ألا أزور الحوانيا

فلما سمعت سلمى ذلك منه، تأثرت له، وقالت: إنى استخرت الله ورضيت بعهدك، فأطلقته، وأخذ هو الفرس، ودب عليها حتى إذا كان بحيال الميمنة كبر، ثم حمل على ميسرة الفرس يلعب برمحه وسلاحه بين الصفين. ثم رجع من خلف المسلمين إلى الميسرة، فكبر وحمل على ميمنة الفرس يلعب بين الصفين برمحه وسلاحه، ثم رجع من خلف المسلمين إلى القلب، فبدر أمام الناس، فحمل على الفرس يلعب بين الصفين برمحه وسلاحه. وكان يقصف فى العدو ليلتئذ قصفاً عجيباً، حتى تعجب منه المسلمون ومن شجاعته وهم لا يعرفونه. حتى أن كان سعد بن أبى وقاص وهو مشرف على الناس من فوق القصر يقول: والله لولا محبس أبى محجن لقلت: هذا أبو محجن وهذه البلقاء! [١] .

فلما قضى أبو محجن غايته وأعمل سيفه فى الفرس، وعوض الدور الذى فاته فى محبسه، رجع ودخل من حيث خرج، وأعاد رجليه فى قيده، وأنشد يقول:

---

(١) تاريخ الطبرى: ٣/ ٥٤٩، ابن الأثير: الكامل: ٢/ ٣٣٠، النويرى: نهاية الأرب ١٩/ ٢١٠.

لقد علمت ثقيف غير فخر	بأنا نحن أكرمهم سيوفا
وأكثرهم دروعا سابغات	وأصبرهم إذا كرهوا الوقوفا
وأنا وفدهم في كل يوم	فإن عميوا فسل بهم واعريفا
وليلة قادس لم يشعروا بي	ولم أشعر بمخرجي الزحوفا
فإن أحبس فذلكم بلائي	وإن أترك أذيقهم الحتوفا

فلما سمعت سلمى ذلك منه قالت: يا أبا محجن، فى أى شيئ حبسك سعد؟ قال: أما والله ما حبسنى بحرام أكلته ولا شربته، ولكننى كنت صاحب شراب فى الجاهلية، وأنا امرؤ شاعر، يدب الشعر على لسانى يبعثه على شفتى أحياناً فيساء لذلك ثنائى، ولذلك حبسنى، قلت:

إذا مت فادفني إلى أصل كرمة	تروي عظامي بعد موتي عروقها
ولا تدفنني بالفلاة فإنني	أخاف إذا ما مت ألا أذوقها

فلما كان الصباح جاءت سلمى إلى زوجها سعد بن أبى وقاص، وأخبرته خبر أبى محجن، يعنى أنها أطلقته، لما رأت فيه شجاعة يتوق إلى إنفاذها فى العدو، وأنه بالفعل أبدى من البطولات ما استلفت الأنظار، وأن حبسه كان لسوء فهم فى أبيات قالها ولم يقصد معناها. وهنا اقتنع سعد بكل ما سمع، فدعا به وأطلقه، وقال: اذهب فما

أنامؤاخذك بشيئ تقوله حتى تفعله، قال: لا جرم، والله لا أجيب لسانى إلى صفة قبيح أبداً[١] .

فيبدو أن هذه المرأة من خلال طول مكثها فى هذه البلاد لسنوات طوال مضت مع زوجها السابق، لم يرضها أن تعطل طاقة أبى محجن المشهود له بالجرأة والإقدام، فى معركة كانت من أقوى مواقع الإسلام فى مواجهة الفرس، ومن ثم فإنها لما استوثقت من عهده أطلقته، فأبلى أحسن البلاء، ثم كان هو عند وعده، فعاد إلى محبسه، إنفاذاً لسابق عهده معها، وكل هذا دعاها إلى أن تستشفع له عند سعد حتى أطلق سراحه.

وفى القادسية أيضاً لا يمكن إغفال دور الخنساء بنت عمرو بن الشريد السلمية الشاعرة، فقد حضرت القادسية ومعها بنوها الأربعة، وهم رجال، فقالت لهم من أول الليل: يابنى، إنكم أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين، ووالله الذى لاإله إلا هو، إنكم لبنو رجل واحد، كما أنكم بنوا امرأة واحدة، ما خنت أباكم، ولافضحت خالكم، ولا هجنت

(١) تاريخ الطبرى: ٥٤٩/٣، ابن الأثير: الكامل: ٣٣٠/٢، د. عبد المقصود نصار: الخلفاء الراشدون ص ٦١.

حسبكم، ولاغيرت نسبكم، وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل فى حرب الكافرين، واعلموا أن الدار الباقية، خير من الدار الفانية، يقول الله عز وجل: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾[1] .

فإذا أصبحتم غداً إن شاء الله سالمين، فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين، وبالله على أعدائه مستنصرين، فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها، واضطرمت لظى على سُباقها، وجللت ناراً على أوراقها، فتيمموا وطيسها، وجالدوا رئيسها، عند احتدام خميسها، تظفروا بالغنم والكرامة، فى دار الخلد والمقامة. فخرج بنوها قابلين لنصحها، عازمين على قولها، فلما أضاء لهم الصبح باكروا مراكزهم، وأنشأ أولهم يقول:

يا إخوتي إن العجوز الناصحة — قد نصحتنا إذ دعتنا البارحة
مقالة ذات تبيان واضحة — فباكروا الحرب الضروس الكالحة
وإنما تلقون عند الصائحة — من آل ساسان كلابا نابحة
قد أيقنوا منكم بوقع الجائحة — وأنتم بين حياة صالحة
أو موتة تورث غنما رابحة[2]

(١) الآية: ٢٠٠ من سورة ال عمران.

(٢) النويرى: نهاية الأرب: ٢١٦/١٩ . وقد أورد الطبرى قصتها مختصرة ودون أن يسمها، فاخترت رواية النويرى لوضوحها وبيانها.

وتقدم فقاتل حتى قتل، ثم حمل الثاني وهو يقول:

إن العجوز ذات حزم وجلد ... والنظر الأوفق والرأي السدد

قد أمرتنا بالسداد والرشد ... نصيحة منها وبرا بالولد

فبادروا الحرب حماة في العدد ... إما لفوز بارد على الكبد

أو ميتة تورثكم غنم الأبد ... في جنة الفردوس والعيش الرغد

وقاتل حتى استشهد، ثم حمل الثالث وهو يقول:

والله لا نعصي العجوز حرفا ... قد أمرتنا حدبا وعطفا

نصحا وبرا صادقا ولطفا ... فباكروا الحرب الضروس زحفا

حتى تلقوا آل كسرى لفا ... أو تكشفوهم عن حماكم كشفا

إنا نرى التقصير منكم ضعفا ... والقتل منكم نجدة وعرفا

وقاتل حتى استشهد، ثم حمل الرابع وهو يقول:

لست لخنساء ولا للأخرم ... ولا لعمرو ذي السناء الأقدم

إن لم أرد في الجيش جيش الأعجم ... ماض على الهول خضم خضرم

إما لفوز عاجل ومغنم ... أو لوفاة في السبيل الأكرم

وقاتل حتى قتل، رحمهم الله. فبلغها الخبر، فقالت: الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم، وأرجو من ربى أن يجمعنى بهم فى مستقر رحمته، فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعطى لخنساء أرزاق أولادها الأربعة، حتى قبض رضي الله عنه [1] .

(١) النويرى: نهاية الأرب: ١٩/٢١٧، ٢١٨. وخبرها فى الطبرى ٣/٥٤٤.

ولا يحتاج موقف الخنساء هذا إلى كثير تعليل وإيضاح، فهى امرأة مسلمة تدفع بفلذات كبدها إلى ساحة الوغى، حاثة لهم ومحضنضة على البذل والتضحية فى سبيل نصرة الحق وأهله وهزيمة قوى البغى والباطل، ويلبى أولادهانداءها، وهم أحرص على الموت من الحياة، فتكتب لهم الشهادة جميعاً، لتتلقاها بيقين صادق، وقلب ثابت، رحم الله الخنساء وأبناءها أمين.

غير أن موقفها هذا يذكرنا - بالضرورة - بموقفها حين قتل أخويها: معاوية وصخر فى الجاهلية، فقد حزنت عيهماحزنا بالغاً، ورثتهمابالعديد من القصائد الشعرية، وبخاصة لما قتل صخر، إذ كان أحب أخويها إليها، فجزعت عليه جزعاً شديداً، وبكته حر البكاء، ومن قصائدها الحزينة التى تقطر لوعة وأسى فى رثائه، قولها:

يؤرقني التذكر حين أمسي ... فأصبح قد بليت بفرط نكسي

على صخر، وأي فتى كصخر؟ ... ليوم كريهة وطعان خلس

فلم أر مثله رزءا لجن ... ولم أر مثله رزءا لأنس

أشد على صروف الدهر أبدا ... وأفضل في الخطوب بغير لبس[1]

إلى آخر ما نظمته، والقصيدة كلها تزداد فيها نبرة الأسى والحزن، شطراً بعد شطر، وبيتاً بعد بيت. مما يدفعناإلى المقارنة بين

---

(١) الشيخ/ أحمد جمال عبد العال: نساء خالدات فى القرآن الكريم ص ١٢٢.

حاليها، حين فقدت أخويها فى الجاهلية، وحين استشهد أبناؤها فى القادسية جميعاً، ومهما كتبنا، أو اجتهدنا فى المقارنة فلن نستطيع إلا أن نثبت حقيقة واحدة وجوهرية، وهى أن الإسلام قد أنار بصيرتها وطهر روحها، فرأت الشهادة فى سبيله مغنماً لا يعادله مغنم آخر. أما فى جاهليتها فكانت ككل العرب الذين كانوا يتمسكون بالبقاء، ويستمرءون ملذات الحياة المادية التى غرقوا فيها.

وإنى لأتجاسر وأقول: إن الخنساء التى قد كف بصرها من بكاء أخويها، لو كانت مبصرة فى القادسية، لربما قاتلت بنفسها، وخاضت غمار الحرب، كما وقع من خولة بنت الأزور، غير أنها لم تملك سوى أن تدفع بأبنائها من أجل الإسلام، ثم تحمد الله أن غنمهم الشهادة.

الخلاصـــة:

لقد سجل التاريخ للمرأة المسلمة فى ميدان الجهاد دوراً رفيعاً، شاركت فيه تطوعاً، من دون أن يفرض عليها الجهاد، فكانت أداة مهمة وفاعلة فى الصفوف الخلفية، تسقى وتطعم، وتصلح الخيام، وتعالج المرضى والجرحى، وتساعد فى دفن الموتى من شهداء المسلمين.

ثم تعدى دورها ذلك، فحملت السلاح، وضربت فى الأعداء؛ ودافعت عن رسول الله ﷺ فى أحد وحنين، ونصحت الجند والقادة، وحثت جند الإسلام على البذل والتضحية، دفاعاً عن الدين والحرمات والناشئة.

فهى فى هذين الدورين: المادى والمعنوى قد ساهمت بأوفر نصيب فى نتائج كثير من معارك المسلمين ضد أعداء الدين. فإذا كان هذا هو دورها البطولى فى ميدان القتال، فلا شك أنها قد سجلت أدواراً أخرى كثيرة فى المجتمع الإسلامى، لم يكن البحث مجالاً لدراستها، ولولا أنى قصرت عنوان البحث على بطولاتها فى معارك الإسلام، لكان من الممكن أن نشير إلى ما هو أكثر من ذلك، ومنه عى سبيل المثال لا الحصر، فدائية أسماء بنت أبى بكر الصديق فى وقت هجرة النبى ﷺ وأبيها، ومكوثهما فى غار ثور أياماً ثلاثة، تتردد إليهما بالطعام والشراب، ومنه دور أولئك النسوة اللاتى هاجرن إلى الحبشة مسلمات مع أزواجهن، تاركات الموطن والأهل، متحملات لمشاق

السفر والغربة الموحشة، متعرضات لمصير مجهول، من أجل العقيدة التى تفاعلت بها نفوسهن.. إلى غير ذلك من أدوار وبطولات نادرة وعديدة سجلت للمرأة فى مجتمع الإسلام، سواء فى النواحى الجهادية أو المشاركات الاجتماعية، وكل هذا إضافة إلى دورها الرئيسى ومهمتها الأساسية، كأم وزوجة ونصف مهم من كل لا يتجزأ فى عالم الإنسانية المسلم...

وكل هذا مما يمكن أن نواجه به أعداء الإسلام، الذين يتربصون بالمرأة المسلمة، ويحاولون دائما اختراق حجابها الصين، وحياتها الإسلامية الحرة الكريمة، بدعاوى زائفة، وأفانين مغرضة... وهم لايقصدون من وراء كل هذا إلا تعطيل هذا الدور الفاعل للمرأة المسلمة من ناحية، ثم لاتخاذهامدخلاً لضرب كيان المجتمع المسلم وإحلال الإباحية والانقسام فيه من الداخل، ومن خلال ذلك الحجاب الحاجز..

وقى الله الإسلام وأهله شر هؤلاء، ورد كيدهم فى نحورهم، وحفظ المرأة المسلمة من كل ما يراد بها، وما تدفع إليه، بحجة التمدن والتحضر ومسايرة العصر، وهى فى الأساس كمسلمة فوق كل هذا، وأرفع منه... أمين، آمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

د. مغاورى عبيد منصور

مناهل البحث[1]

١ - **القرآن الكريم.**

الإمام البخارى (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن بردذبة الجعفى) ت٢٥٦هـ.

٢ - صحيح البخارى - طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة ١٣٩٠هـ / ١٩٧١م.

ابن حجر العسقلانى (الإمام الحافظ أحمد بن على) ت ٨٥٢هـ.

٣ - فتح البارى بشرح صحيح البخارى - طبعة أولى - القاهرة ١٤٠٧/١٩٨٦م.

٤ - تهذيب التهذيب - دار صادر - بيروت ١٣٢٧هـ.

الإمام مسلم (أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى) ت٢٦١هـ.

٥ - صحيح مسلم بشرح النووى . المطبعة المصرية ، د.ت.

---

(١) فى ثبت مناهل البحث التى أسقيت منها مادته تجاوزت عن مراعاة الترتيب الأبجدى فى حالة واحدة عند إيراد كتب الصحاح؛ مراعاة لمنزلتها وأفضليتها.

ابن الأثير (محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى)ت ٦٣٠ هـ .

٦ - تاريخ الكامل - بيروت ١٩٧٨م.

البلاذرى (أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر) ت ٢٧٩هـ .

٧ - فتوح البلدان . تحقيق د/ عبد الله أنيس الطباع، بيروت ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

محمد بن سعد كاتب الواقدى .

٨ - الطبقات الكبرى - دار صادر - بيروت - د.ت.

ابن سلام (أبو عبيد القاسم) ت ٢٢٤هـ .

٩ - كتاب الأموال. طبعة أولى . بيروت ١٩٨١م.

الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير) ت ٣١٠هـ .

١٠ تاريخ الرسل والملوك. تحقيق د/ محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعارف طبعة ثالثة، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م.

النويرى (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب) ت ٧٣٣هـ .

١١- نهاية الأرب فى فنون الأدب. تحقيق د/ محمد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

الواقدى (أبو عبد الله محمد بن عمر) ت ٢٠٧هـ.

١٢- فتوح الشام. دار الجيل، بيروت (د.ت).

١٣- مغازى الواقدى، تحقيق/ مارسدن جونس، بيروت (د.ت).

أبو يوسف (يعقوب إبراهيم الأنصارى) ت ١٨٢هـ.

١٤- الرد على سير الأوزاعى.

أحمد إبراهيم الشريف (الدكتور).

١٥- الفتوح الكبرى فى عهد الفاروق . مقال منشور فى مجلة منبر الإسلام، شعبان ١٣٨٥هـ/ نوفمبر ١٩٦٥م.

أحمد جمال عبد العال (الشيخ) :

١٦- نساء خالدات فى القرآن الكريم. مكتبة الكليات الأزهرية ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

حامد محمد على (الشيخ) :

١٧- الجهاد فى ضوء الكتاب والسنة. طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. القاهرة ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

رفاعة رافع الطهطاوى.

١٨- الدولة الإسلامية نظامها وعمالاتها. القاهرة ١٩٩٠م.

ل.أ.سيديو:

١٩- تاريخ العرب العام. نقله إلى العربية: عادل زعيتر، طبعة ثانية - الحلبى بالقاهرة ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.

عبدالبصير خليفة حسن (الدكتور):

٢٠- أحد وثباته صلى الله عليه وسلم. مقال منشور فى مجلة الأزهر ص ١٠٠٥، رمضان ١٤١١هـ/ مارس/ أبريل ١٩٩١م.

عبدالحميد بن عبدالرحمن السحيبانى:

٢١- صور من سير الصحابيات. دار ابن خزيمة للنشر . الرياض - طبعة خامسة - ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

عبدالصبور شاهين (الدكتور):

٢٢- صحابيات حول الرسول. دار الاعتصام. القاهرة ١٩٩٣م.

عبدالعزيز كامل (الدكتور):

٢٣- دروس من غزوة أحد. طبعة دار المعارف. القاهرة ١٩٨٣م.

عبدالله عفيفى .:

٢٤- المرأة العربية فى جاهليتها وإسلامها - طبعة ثانية - بيروت ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

عمررضاكحالة:

٢٥- أعلام النساء فى عالمى العرب والإسلام. طبعة ثالثة - بيروت ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

عبدالمقصودنصار (الدكتور):

٢٦- الخلفاء الراشدون. مطابع دار الشعب - القاهرة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

محمودمهدىالاستانبولى:

٢٧- نساء حول الرسول. مكتبة الوادى بجدة ١٩٨٩م.

فهرست بموضوعات البحث